

روايات مصرية للجيب
سلة الروايات
26
Looloo
www.dvd4arab.com
أوراق مجهول (٤)
منظمة اسمها الفوضى

مقدمة يجب أن نعتادها

الواقع أن هذه السلسلة تختلف .. والواقع أن من الأفضل دومًا أن تتجاهل هذه المقدمة ، وأن تبحث عن الأعداد السابقة ، فهى مهمة لتفهم ما حدث ويحدث ، وربما لتكوّن فكرة ما عمّا سيحدث ...

على أى حال سأحاول فى هذه المقدمة أن أمنحك الخطوط الأساسية التى قد تعينك على الفهم ، وإن كنت أكرر النصيحة .. هذه ليست سلسلة روايات معتادة ، بل هى ما حدث لى فعلاً ، ولا يمكنك أن تبدأ قراءة قصة حياتى من المنتصف ، لتتذمر بعد ذلك أن هناك بعض التفاصيل غير الواضحة ، أو أنك تشعر بأنك غير مندمج مع الأحداث ..

كان اسمى (سامى محمود) ، وكنت ضابط شرطة فى القاهرة أحيا حياة معتادة روتينية ، حتى قمت بزيارة صديقى الطبيب النفسى (مجدى) ، ومعى صديقنا المشترك (على) ؛ ليعرض (مجدى) أن يجرّب علينا تجربة تنويم مغناطيسى ما .. لم أفهم الغرض منها حينها ..

المهم أننى وافقت ، وحين استيقظت كانت حياتى قد انقلبت رأسًا على عقب ..

وجدت نفسى قاتلاً ومحتجز رهائن فى قسم الشرطة الذى أعمل فيه ، وقد مرّ أسبوع على قيامى بتجربة (مجدى) اللعينة هذه !!

تتوالى الأحداث بسرعة بعد هذا ، وأبدأ فى الهرب من الشرطة ـ زملائى فى الواقع ـ وأتعرف على (مايا) إحدى ضحايا تجربة (مجدى) ، لنبدأ رحلة البحث المشترك عن (مجدى) والتى تنتهى بعدة مآسٍ ومفاجآت ..

(مجدى) أسس منظمة عجيبة اسمها (منظمة الفوضى) تهدف لتدمير الأنظمة فى كل مكان فى العالم ، وتلقى (مايا) مصرعها فى تلك المواجهة المؤسفة بيننا وبين (مجدى) ، وينتهى الأمر بهربه إلى فرنسا ، وقد دمَّرت حياتى ـ إذ إننى قتلت واحتجزت رهائن حقًا تحت تأثير تجربة (مجدى) ـ ولم يعد يمكننى أن أعود إلى حياتى الطبيعية ، كـ (سامى محمود) ؛ لذا يقدم لى السادة فى وزارة الداخلية عرضًا لا يمكن رفضه ..

هوية جديدة وعمل جديد كمسئول أمنى فى سفارة مصر فى فرنسا ..

نعم يريدوننى أن أبحث لهم عن (مجدى) ..

وهذا ما حدث بالفعل ، لكنه هو من ظهر لى هناك فى فرنسا ، حيث قابلت رجل المخابرات الفرنسى السابق (فرانسوا) والذى كان يموّل مشروع (مجدى) فى مراحله الأولى ، والذى ساعدنى قدر استطاعته حتى استطعت الوصول إلى (مجدى) ، ولكن بعد أن أذاق فرنسا كلها يومًا لن تنساه ..

وكانت المواجهة بينى وبينى (مجدى) حاسمة هذه المرة ، وانتهت بموته فى انفجار صاخب آتى بكل رجال الشرطة فى فرنسا ، ولتدمر بهذا هويتى الجديدة كمسئول أمنى فى سفارة مصر بفرنسا ، ولتبدأ حياتى كمجهول ..

العرض هذه المرة جاءنى من المخابرات ، وكان يتلخَّص فى أن أعيش حياة عجيبة كمجهول لا يحمل أى هوية ولا يعرف عنه أى أحد أى شىء ، وأن أنفذ لهم بعض مهام خاصة للغاية دون أن يشعر بى مخلوق ..

ومع السيد (أنور) رجل المخابرات العجيب الطباع ، بدأت أول مهامى كمجهول لأساعد فى هرب الشبح ـ قاتل

محترف كان يعمل لحساب المخابرات الروسية ـ من فرنسا ، لأعيش أحداثًا شديدة الصخب كادت تودى بحياتى للمرة الألف !

يمكننا أن نقول أن ميلاد حياتى كمجهول بدأ بعد هذا .. بعد هروب الشبح ..

ففى هذه الفترة كنت قد اتخذت قرارى بالانسحاب من هذا العالم ، لأبدأ من جديد حياة أخرى بصورة طبيعية ، وكنت قد أخبرتهم بالفعل عن رغبتى هذه ، وظننت أنها نهاية هذا المنعطف غير التقليدى من حياتى ، لكن الذى حدث هو ..

هو ما ستقرؤه عبر هذه الأوراق ..

أوراق مجهول ..

د . تامر إبراهيم

* * *

باقى ٧٢ ساعة وتنتشر العدوى

١ ـ رجل الفوضى ..

مبتسمًا قال (مجدى) :

« إذا كنتم تشاهدون هذا الشريط فهذا يعنى أننى قد متّ أخيرًا .. لكن هذا لا يعنى أن المرح قد انتهى .. فى الواقع أيها السادة منظمة الفوضى لم تبن علىّ بمفردى ، ولا أخفى عليكم أننى كنت أتوقع موتى منذ زمن ؛ لذا كان علىّ إعداد من يتولى منصبى من بعدى .. وهذا القرار بالذات استغرق منى وقتًا طويلاً ، لكنه يستحق ، وإننى إذ أترككم مع زعيم المنظمة الجديد السيد (باتريك) أعرف أنكم ستدركون قصدى قريبًا .. (سامى) .. لا أعرف إن كنت ستظل على قيد الحياة إلى أن ترى هذا الشريط أم لا ، لكن السيد (باتريك) سيعرف ، وفى هذه الحالة فلقد وضعت لك مخططًا خاصًا ، يمكنك أن تعتبره هدية وداع .. سألقاكم قريبًا فى هذا العالم أو ... » .

أذكركم أننى كنت فى شقتى حين شاهدت هذا الشريط ، الذى أحضره السيد (أنور) والذى يجلس على يمينى متجهمًا بصورة لم أرها من قبل ، بينما ظللت أنا عاجزًا عن

النطق ، وقد انبعثت فى أعماقى رغبة وحشية بأن أنفجر ضاحكًا بهستيرية ، ثم ألقى بنفسى من الشرفة كالمجاذيب !

إذن فاللعبة لم تنته بعد .. ما زال (مجدى) هو محور حياتى حتى بعد موته ..

كدت أقوم من أمام التلفاز الذى سكنت شاشته على وجه (مجدى) المبتسم ، لكن السيد (أنور) أشار لى قائلاً باقتضاب :

ـ انتظر .. الشريط لم ينته بعد ..

وهكذا أصبحت مضطرًا للتحديق فى ابتسامة (مجدى) المقيتة ، منتظرًا أن يغيب وجهه عن الشاشة وعن حياتى إلى الأبد .. وما هى إلا دقيقة ، حتى اختفت صورته ، ليحل مكانها ذلك الشاب الذى سنعرف الآن أنه (باتريك) ..

وبما أن (باتريك) هو زعيم منظمة الفوضى الجديد ، لذا سأصفه لكم تفصيليًّا لأعفيكم من التخيل المرهق ..

وسيم السيد (باتريك) تلك الوسامة الإنجليزية الباردة .. تلك الوسامة التى لا تطيق إطالة النظر فيها .. تلك الوسامة التى تشعرك بالقشعريرة !

طويل القامة بصورة غير طبيعية ، ونحيل بصورة غير طبيعية ، وتطل من عينيه قسوة غير طبيعية ، وتلك الابتسامة القاسية فى ركن شفتيه جعلتنى أدرك أن أيامًا طويلة تنتظرنا حقًا ..

يرتدى السيد (باتريك) بذلة سوداء أنيقة ، وساعة ذهبية فى معصمه الأيسر ، وينسدل شعره الأشقر على جانبى وجهه فى فوضى منظمة واثقة ، وكان يقف أمامنا باعتداد وتحدّ ، كأنما يؤكد لنا حسن اختيار (مجدى) له كزعيم منظمة الفوضى الجديد ..

ها قد وصفت لك السيد (باتريك) ولم يعد عليك أن تتخيله .. الآن فلنصغ إلى ما سيقوله :

ـ مرحبًا بكم أيها السادة .. سأكون عمليًا وسأدخل فى الموضوع مباشرة ، فلا وقت لنضيعه .. من المفترض أنكم ستشاهدون هذا الشريط فور وصوله إليكم وهذا يعنى أن أمامكم ست أيام فحسب لحل هذه المشكلة .. هناك فيروس جديد صممته معاملنا ، وهناك خمس مصابين به فى فرنسا لا يدركون أن الفيروس فى أجسادهم .. بعد ثلاث أيام فحسب ستبدأ الأعراض فى الظهور عليهم وسيصبحون

قادرين على نقل العدوى إلى المحيطين بهم ، وسيظلون فى هذه المرحلة لمدة ثلاث أيام إضافية قبل أن يلقوا مصيرهم المحتوم لتبدأ دورة المرض مع من انتقلت إليهم العدوى .. هذا الفيروس لا علاج له ، ولتتأكدوا من صحة ما أقول أرسلت لكم عينة منه مع الشريط ، ولابد أنكم أرسلتموه إلى معاملكم التى ستؤكد لكم صحة ما أقول .. مهمتكم واضحة لكنها ليست سهلة ، عليكم تحديد من هم هؤلاء الخمسة وعزلهم قبل أن يدخلوا مرحلة العدوى ، وعليكم البحث عن علاج للفيروس لو أردتم لهم النجاة ، وإن كنت أؤكد لكم أنه لا علاج له على الإطلاق .. لو لم تنجحوا ستكون هذه بداية النهاية بالنسبة لفرنسا ومن بعدها العالم أجمع .. هذا بالنسبة لكم .. بالنسبة للسيد (سامى) .. أنا أعرف أنك على قيد الحياة والواقع أن هناك مخططًا يخصك كما أخبرك الدكتور (مجدى) ، وهو مخطط يليق بك حقًا .. لكننى سأحتفظ به سرًا فى الوقت الحالى ، وإن كنت أعدك أنها ستكون النهاية هذه المرة ..

انتهى (باتريك) من حديثه وكان السيد (أنور) هو من أغلق التلفاز ، إذ إننى كنت فى حالة صدمة كاملة ، ليقول :

ـ حسن .. ما رأيك ؟

- أنا .. لم .. أعنى ..

هنا أمسك السيد (أنور) بكتفى ونظر إلى عينى مباشرة ، نظرة شخص لن يقبل أى جدال فى المرحلة التالية ، قائلاً :

- أصغ لى جيدًا .. لو لم تكن قد اتخذت قرارك حتى الآن ، فهذه هى اللحظة المناسبة .. نحن لا نملك الوقت كما ترى لذا أريد ردًا واضحًا وصريحًا .. هل أنت معنا أم لا ؟

ثم إن لهجته لانت قليلاً ليقول :

- أنا لا أريد إجبارك على شىء ، لكن يجب أن تدرك جيدًا إن قرارك هذه المرة سيكون نهائيًا ، حياتك فى الأيام القادمة ستتوقف على ما ستقوله الآن .. أعرف أنك قاسيت الكثير ، لكن لا وقت للتفكير الطويل ..

ثم تركنى ووقف أمامى منتظرًا إجابتى على سؤاله الصعب .. منتظرًا أن أقرر مصيرى ..

والآن ضع أنت نفسك مكانى .. ما هو القرار الصائب الذى ستتخذه ؟

يمكننى الآن أن أضع حدًا لهذا كله .. يمكننى الآن أن أبدأ من جديد وأنسى كل ما حدث لى .. (مجدى) ومنظمة الفوضى سيصبحان ماضٍ لن يجب علىّ أن أتذكره .. سيصبحان مشكلتهم هم لا مشكلتى أنا ..

كل هذا يبدو جميلاً حقًا .. كل هذا قد يناسب أى شخص عاقل طبيعى ..

لكنى سأخدع نفسى لو قلت أنه يناسبنى .. هذه القضية قضيتى أنا ، وأنا لم أعتد الهرب ..

سأواجه مصيرى بلا هوية ، بدلاً من أعيش هاربًا ذليلاً طيلة عمرى ..

ثم .. ثم إن مواجهة المنظمة تضمن لك مزيدًا من المتعة !!

أين تلك اللذة الحريفة التى لا تحصل عليها إلا حين تكون حياتك فى خطر ؟

أنا لن أعيش حياة شخص آخر وأدعى أننى إنسان آخر .. حتى لو كان الثمن أن أتحول إلى مجهول .. دعك من أن المنظمة لا تنوى تركى فى شأنى كما يبدو !

لذا جاءت إجابتى ثابتة واضحة صريحة :

ـ أنا معكم يا سيد (أنور) .. أنا معكم ..

ـ هذا ما توقعته .. والآن كما ترى الموقف معقد بما يكفى لذا سيكون علينا التحرك بأقصى سرعة ممكنة ..

ـ التحرك إلى أين ؟ لقد استمعت إلى ما قاله .. هناك خمس مصابين فى فرنسا ، لكن من هم وكيف نصل إليهم ؟

لاحت ابتسامة خبيثة على شفتى السيد (أنور) ، وهو يجيب :

ـ سأشرح لك كل شىء فى الطريق ، هيا بنا .. فهناك صديق قديم ستسره رؤيتنا ..

ـ من ؟

ـ الكونت (فرانسوا) .. هل نسيته ؟

* * *

فى سيارته أخذ السيد (أنور) يشرح لى الموقف أكثر :

ـ إنها عملية إعلامية بالدرجة الأولى .. إنهم يريدون أكبر حالة ذعر ممكنة وبهذا يحصلون على القوة ، لذا

فأفضل ما يمكننا فعله هو التحرك بأسرع مما يتوقعون لنحبط مخططهم ..

كنت أعرف طريقته فى محاولة إثارة فضولى ، لذا قررت أن أرضيه بأن أسأل :

ـ وكيف سنفعل هذا ؟! إننا لا نملك طرف خيط لنتتبعه ..

ـ بل نملك .. ولقد منحونا هم إياه طواعية ..

ـ وما هو هذا الخيط ؟

ـ الفيروس ذاته .. حاول أن تفكر بطريقتهم هم .. إنهم لا يريدون إفناء العالم بفيروس لا علاج له ، بل هم يحاولون إثارة أكبر كم ممكن من الفوضى كما أخبرتك ، لذا يجب أن يكون لهذا الفيروس مواصفات خاصة تتوافق مع هدفهم ، ولقد أرسلنا الفيروس إلى الخبراء الذين سيمنحوننا طرف الخيط المطلوب .. المشكلة هذه المرة هى أننا لن نعمل وحدنا ..

وقبل أن أسأله ، التقط ملفًا من المقعد الخلفى وناولنى إياه ، قائلاً :

ـ اقرأه بسرعة .. ثم أخبرنى برأيك ..

ابتلعت أسئلتى ، وفتحت الملف لتطالعنى صورة فتاة فرنسية رقيقة الملامح يبدو عليها الضعف الأنثوى المحبب للرجال ، وتوحى ابتسامتها بخضوع جميل ، فأمعنت النظر إليها قليلاً ثم أزحت الصورة جانبًا وبدأت أقرأ ..

اسمها (بريدجيت رولاند) .. فى السابعة والعشرين من العمر .. رقمها الكودى (٨٧٦٨) .. تعمل فى المخابرات الفرنسية منذ عام ألف وتسعمائة وتسع وتسعين .. خبيرة تتبع ومراقبة .. خمس عمليات ناجحة .. عظيم .. تجيد استخدام الأسلحة .. من الصعب تخيّل هذه الغادة وهى تحمل سلاحًا ، لكن من قال أن القبح شرط أساسى لتجيد استخدام الأسلحة ؟

باقى التفاصيل لا تهم أحدًا لذا تجاوزتها بسرعة ، وقلت :

ـ إذن فالمخابرات الفرنسية تعرف ..

ـ نعم .. (باتريك) أرسل نسختين من الشريط .. واحدة لسفارتنا والأخرى إلى المكتب السرى للمخابرات الفرنسية .. إنه يستعرض معلوماته ..

ـ وهذا يعنى أن هذه العملية ستتم بالتعاون المشترك بيننا وبينهم ؟

ـ لقد عرضنا هذا عليهم بالفعل ، لكنهم رفضوا وهذا حقهم .. هذه الأحداث تدور على أرضهم رغم كل شىء .. لكننا لا نستطيع التوقف والمراقبة من بعيد ، بينما يستفحل خطر هذه المنظمة أكثر وأكثر ..

فى هذه اللحظة كنا قد بلغنا الدائرة السابعة عشر ـ باريس تنقسم إلى عشرين دائرة سكنية ـ وفيها اتجه السيد (أنور) إلى أحد الشوارع الجانبية الضيقة ، حيث أوقف السيارة ، وخرج منها قائلاً :

ـ لنأمل أن نجده الآن ..

سألت باهتمام :

ـ كيف عثرتم على (فرانسوا) ؟! إن المخابرات الفرنسية تبحث عنه ، منذ أن نفذ (مجدى) انتقامه فيه ..

ـ لنقل أننا نجيد البحث أفضل من المخابرات الفرنسية ..

وهكذا تبعته عبر الشوارع الجانبية الضيقة ، حتى توقفنا أمام فندق صغير يشى بالفقر المدقع ، بدءًا من طلائه المتآكل وحتى مدخله الموحى بقلة النظافة ، حيث استقبلنا موظف استقبال بدين ، أخذ يرحب بنا بحبور قائلاً :

ـ مرحبًا بكم أيها السادة .. غرفة واحدة أم غرفتين ؟

لكن السيد (أنور) وأد أحلامه فى مهدها ، قائلاً :

ـ هل السيد (جاك) هنا ؟!

ـ آه ... إنه لم يغادر غرفته منذ الأمس .. الدور الثالث غرفة (٢٨) ..

بدا وكأنما السيد (أنور) يعرف مكان الغرفة مسبقًا ، فلم ينتظر حتى يكمل الموظف البدين شرحه ، بل اتجه للدرج ليصعده بسرعة ، وأنا من خلفه وقد أخذت أتساءل فى أعماقى عن كيف يتحمل الكونت (فرانسوا) هذا المكان الذى لا يصلح لطالب مهاجر .. بلغنا الباب فطرقه السيد (أنور) ، وهو يهمس لى :

ـ يجب أن تعرف كل ما يعرفه هذه المرة .. وحاول أن تنشط ذاكرتك ولو قليلاً ..

ـ سأحاول ..

لكن أحدًا لم يفتح الباب ، فطرقه السيد (أنور) مرة ثانية .. ثم ثالثة .. ثم تبادل معى نظرة ذات مغزى ، قبل أن

يخرج من جيبه أداة رفيعة ، عالج بها الرتاج بسرعة ، ليفتح الباب ولتستقبلنا الغرفة الخاوية ..

لحظات من البحث ، ثم بدا شىء من الإحباط على السيد (أنور) ، فقلت له :

ـ ربما يكون فى طريقه إلى هنا الآن ..

ـ مستحيل .. هذه الغرفة تم تنظيفها جيدًا ، وكأنما أراد صاحبها ألا يترك بصمة واحدة وراءه .. كما أن دورة المياه جافة تمامًا ، ولا تحمل الغرفة رائحة دخان غليونه المفضل ..

أخذت أنظر فى حيرة إلى الغرفة التى بدت لى أنظف من المتوقع بالفعل ، وأدركت أن ملاحظات كهذه تحتاج لرجل مخابرات حقًا ، فقررت أن ألوذ بالصمت ، انتظارًا للخطوة التالية ، لكن السيد (أنور) بدأ فى تفتيش الغرفة ، بدقة تختلف عمّا علمونا إياه فى كلية الشرطة ، وغاب فى دورة المياه الملحقة بالغرفة لحظات ، عاد بعدها وهو يحمل كيسًا بلاستيكيًا صغيرًا فتحه ليخرج منه قائمة ورقية وكارت بلاستيكى أنيق ، قرأ الكارت أولاً ليتجهم وجهه بشدة ، وناولنى إياه لأقرأه بينما بدأ هو يقرأ الأوراق الأخرى ..

كان الكارت البلاستيكى يحمل بضع كلمات بالإنجليزية وبخط لم يصعب علىّ تعرفه ..

الدرس الأول للفوضى ..
اعرف عدوك .. أعرف عنه أكثر مما يتوقع هو أنك قد تعرفه .. ثم اقتله بما تعرفه عنه ! د . مجدى

وانبعث صوت السيد (أنور) يحمل ذهولاً لا حد له ، وهو يقول :

ـ هذه الأوراق .. إنها أدق أسرارنا .. كيف حصلوا عليها ؟!

كدت أهتف بشىء ما ، لكن شيئًا ما قاطعنى .. شخص ما فى الواقع ..

(بريدجيت) فتاة المخابرات الفرنسية التى وقفت على عتبة الباب ، وهى تسدد مسدسًا صغيرًا فى وجهى وفى وجه السيد (أنور) الذى كان لا يزال يحمل الأوراق ..

أخطر الأسرار ..

وبصوت ساخر قالت (بريدجيت) :

ـ مرحبًا .. يبدو أننى عثرت على جاسوسين ..

* * *

٢ ـ منظمة يجب تدميرها ..

للحظات بدا أنها النهاية ..

للحظات تبادل السيد (أنور) النظرات مع الفرنسية (بريدجيت) التى ظلت على ابتسامتها الساخرة ، وللحظات تعلقت عيناى على قائمة الأسرار بين أصابع السيد (أنور) وقد تحفزت عضلاتى استعدادًا للأسوأ ، لكن (بريدجيت) خفضت من مسدسها فجأة ، لتقول مبتسمة ابتسامة عابثة :

ـ عثرت عليكما ..

ولدهشتى دسّ الأوراق السيد (أنور) فى جيبه وقد استعاد هدوءه المعتاد ، ثم أشار بضيق إلى (بريدجيت) قائلاً :

ـ لكنك تأخرت خمس دقائق كاملة .. لقد انتهى عملنا هنا وهذا يعنى فى الأحوال الطبيعية أنك فشلت ..

ـ لكن .. لكنى كنت أتتبعك وهذه أصعب مرة منذ أن بدأت العمل ، ولا تنس أننى لم أتعافَ من إصابتى الأخيرة بعد ، لقد خرجت لتوى من المستشفى و ...

ـ لا يوجد (لكن) فى عالمنا .. إما أنك حققت الهدف وإما لا ..

بدا الإحباط على وجه (بريدجيت)، فى اللحظة التى هتفت أنا فيها بعدم تصديق وقد بلغ منى الذهول مبلغه :

ـ هل .. هل أنت معنا ؟!

أشارت (بريدجيت) برأسها أن (نعم)، بينما قال السيد (أنور) بسرعة وهو يلقى نظرة أخيرة على المكان :

ـ (بريدجيت) عميلتنا منذ أن انضمت إلى المخابرات الفرنسية ..

قلت وأنا أرمق (بريدجيت) بفضول :

ـ من حسن حظنا إذن أنها من تولت عملية منظمة الفوضة ..

ـ لا مكان لحسن الحظ فى عالمنا كذلك .. كل شىء تم الإعداد له بدقة ..

بالطبع لم يشرح لى كيف، ولا ما هى الأسرار التى احتوتها الأوراق التى عثر عليها، ولم أفكر أنا فى سؤاله، وقد أدركت مع الوقت أنه إن أراد لى أن أعرف شيئًا

سيخبرنى به من تلقاء نفسه .. وبصوت يخلو تمامًا من أى مرح قالت (بريدجيت) :

ـ هل هرب ؟!

ـ بل وصلوا إليه قبلنا ..

ولما بدا عدم الفهم فى عينيها، ناولتها الكارت البلاستيكى الذى يحمل خط (مجدى) فقرأته بسرعة، ثم تبادلت نظرة سريعة مع السيد (أنور) الذى نظر إلىّ بدوره كأنما يقرر إن كان لا بأس أن أعرف ما سيقوله، ثم تنهد ليقول أخيرًا :

ـ هذه المنظمة يجب تدميرها ..

وتحرك يقودنا لنغادر المكان، وهو يردف بقسوة :

ـ وقبل أن تمر الأيام الست ..

* * *

فى سيارة السيد (أنور)، بدأت جلسة تبادل المعلومات .. وكانت (بريدجيت) من قالت :

ـ إننا نحاول جمع أكبر كم من المعلومات عن منظمة الفوضى بعد ضربتها الأخيرة التى هزت فرنسا (*) .. وما توصلنا إليه ينحصر أن مقر المنظمة الرسمى هنا فى فرنسا ، وإن كان رجال المنظمة ينتشرون فى العالم كله ، ومعظمهم من الذين خضعوا لتجربة التنويم المغناطيسى ، أى أنهم لا يدركون كونهم أعضاء فى هذه المنظمة ، لكنهم يواصلون مدّ المنظمة بأقوى سلاح تملكه حتى الآن .. المعلومات ..

أشار إلىّ السيد (أنور) ليقول :

ـ إنه أحد من تعرضوا إلى التجربة .. وهو نموذج حى لنجاح تجربتهم ، فهو لا يذكر أى شىء مما حدث له ..

شعرت بالضيق من ذكر السيد (أنور) لهذه الحقيقة ، وخاصة أن (بريدجيت) أخذت ترمقنى فى فضول ، حتى إننى قلت لتغيير دفة الحوار :

ـ أعتقد أن أفضل ما يمكن فعله الآن هو تحديد من هم المصابون بالفيروس لنعزلهم قبل أن يقوموا بنشره إلى المحيطين بهم ..

(*) راجع العدد الثانى من السلسلة (قصة فرنسية) .. العدد رقم (٢٤) من سلة الروايات .

قالت (بريدجيت) :

ـ هذا ما أعمل عليه منذ أن وصلنا الشريط الذى حمل مخططهم .. ولقد توصلت إلى بضع حقائق بالغة الأهمية ..

ـ ما هى ؟

ـ أولاً الفيروس .. معاملنا قامت بفحصه وأكدت أنه لا ينتقل إلا عن طريق الدم ، وهذا يقلص وبشدة من فرص انتشاره ، إلا لو كانوا قد اختاروا ضحاياهم ممن يهوون التبرع بالدم ، أى أن هذه النقطة تعطينا وقتًا لكنها لا تحل المشكلة ..

هزّ السيد (أنور) رأسه موافقًا وهو يقول :

ـ هذا ما توقعته .. المهم هل استطعتم تحديد الشخص الذى صنع هذا الفيروس ؟!

ـ فقط استطعنا تحديد شخصين قادرين على تصنيع هذا الفيروس ، وأولهما الدكتور (ميشيل لوبين) وهو الآن فى إيطاليا مع عائلته مما يثير الشكوك تجاهه بالطبع والثانى هو الدكتور (جاك بيار) وهو قد اعتزل عمله منذ زمن ، وأعمل الآن على تحديد مكان إقامته .. وإن كانت شكوكى تتركز عليه بالذات ..

سألتها مستغربًا :

ـ لماذا ؟!

ـ الرجل عبقرى فى مجاله وهذا ما يشهد به الجميع ، ولقد كان يرأس إدارة واحدة من أكبر مؤسسات الأبحاث فى فرنسا ، لكنه استقال فجأة منذ أشهر رغم مرتبه الضخم الذى كان يحصل عليه .. كما أنه غير متزوج ويعيش وحيدًا ، أى أنه لا يملك شخصًا يخشى عليه لو انتشر الفيروس .. والأهم من هذا كله أنه مختف تمامًا ولا يعرف أحد مكان إقامته بالتحديد ..

بدا لى منطقها معقولاً ، فقلت :

ـ وما الذى ننتظره إذن ؟

ـ كنا نأمل فى الوصول إلى (فرانسوا) أولاً .. فمن المؤكد أنه سيساعدنا بعد أن أصبح مطاردًا من الجميع ، لكنهم وصلوا إليه قبلنا ..

ـ لا وقت للبكاء على اللبن المسكوب .. إذن فمحطتنا التالية هى (جاك بيار) ..

هنا قال السيد (أنور) باقتضاب :

ـ أنا لن أذهب معكما ..

هتفت و(بريدجيت) فى ذات اللحظة :

ـ ماذا ؟!

ـ تلك الأوراق التى عثرت عليها .. ما تحمله من معلومات تؤكد أنه يجب أن نتحرك فى اتجاهين هذه المرة .. أنتما ستبحثان عن مصمم هذا الفيروس والخمسة الذين يحملونه وعن علاج له ، بينما سأتفرغ أنا للبحث عن مقر المنظمة وكيفية التخلص منها نهائيًا ..

بقلق بالغ سألت (بريدجيت) :

ـ ما الذى احتوته هذه الأوراق ؟

ظل السيد (أنور) على صمته دقيقة أو أكثر ، ثم خرج الرد منه بطيئًا مشحونًا بالانفعال :

ـ معلومات عنهم .. (عن محركى الدمى) ..

قالها فانتقل تجهمه إلى ملامح (بريدجيت) على الفور ، فلم أحتمل أن أتمالك نفسى أكثر :

ـ (محركوا الدمى) ؟؟ ما الذى تعنيه ؟!

ـ سأشرح لك فيما بعد .. الآن سيكون عليك أن تساعد (بريدجيت) قدر استطاعتك ، وحاذر .. فلاتنس أن هناك مخطط آخر يتعلق بك لازلنا لانعرف عنه أى شىء ..

تذكرت هذه الحقيقة فشعرت بالقلق وهذا حقى .. هؤلاء القوم دمروا حياتى من قبل ، وما يفعلونه الآن يؤكد أنهم قادرون على إنهاء حياتى هذه المرة لو أرادوا ..

كل هذا لأن (مجدى) كان يشعر بالاضطهاد .. نصيحة مجانية .. لو كان صديقك يشعر بالاضطهاد وبأن كل شىء فى هذه الدنيا يسير فى اتجاه الخطأ .. اقتله !

وبحزم قالت (بريدجيت) موجهة حديثها إلىّ :

ـ إذا كنت ستعمل معى إذن فستحتاج إلى هوية جديدة ..

أجبت بلهجة خاصة :

ـ أى شىء سيناسبنى ..

ـ عظيم .. إذن فأنا أملك الهوية المناسبة لك هذه المرة ..

وباختصار أخبرتنى هويتى الجديدة .. والواقع أنها راقت إلى السيد (أنور) إلى الحد الذى ابتسم معه ليقول بجذل :

ـ هكذا يكون المرح الحقيقى ..

وكان على حق فى قوله ، فالمرح سيبدأ حالاً ..

لكنه نوع من المرح لاتتمنى أن تتعرض له .. أبدًا ..

* * *

٣ - فى الغرفة الزجاجية ..

كما هى العادة سأعرفك أكثر بـ (بريدجيت) قبل أن تتوالى الأحداث ولا يعود هناك وقت لمثل هذه الرفاهيات .. أنت تعرف عنها الكثير حتى الآن مما قرأته من ملفها، لكن دعنى أضيف لك ملاحظاتى الشخصية عنها لأقرب صورتها إلى ذهنك أكثر ..

صموتة هى .. لم تنطق بحرف منذ أن انطلقنا بسيارتها بعد أن تركنا السيد (أنور)، وصحيح أننى من يقود لكنها جلست جوارى تعمل على كمبيوترها المحمول وكأنه لا وجود لى .. كل حركاتها توحى بثقتها العظيمة فى نفسها .. إنها من تلك النوعية التى تعرف أنها عانت كثيرًا لتصل إلى ما وصلت له، وتعرف أيضًا أنها تستحق وتريد أن يعرف الكل هذا .. نظافة سيارتها المبالغ بها توحى أيضًا بأنها تهتم بالمظهر الخارجى جدًا، وهذا عيب أنثوى شهير، لكن فى حالة (بريدجيت) هذا جزء من تكوينها الداخلى الذى لا يهدف إلا لإعلان (أنا امرأة ناجحة وأستحق النجاح) .. باختصار هى عكس (مايا) - رحمها الله - فى كل شىء !

هذه هى (بريدجيت) وهذا هو أول ما نطقت به بعد صمت طويل :

- أنت الآن (جان لوبون) صحفى فى مجلة (Paris Selection) .. غدًا ستنشر لك مقالة باسمك، وستجد أنه تم تسجيلك فى نقابة الصحفيين وتم صناعة ماضٍ كامل لك .. إنها هوية مؤقتة لكنها تصلح، فكونك صحفى سيسهل تواجدك فى كل الأماكن التى سنبحث فيها، دون أن يثير المزيد من الشكوك ..

ثم إنها أوصلت جهازًا صغيرًا بكمبيوترها المحمول، وأخذت تعبث بالأزرار قليلاً، لتخرج من الجهاز الصغير بطاقة بلاستيكية تحمل صورتى، ناولتنى إياها قائلة :

- وهذه البطاقة تثبت أنك صحفى فى الـ (Paris Selection) ..

- بهذه البساطة ؟!

- إنه عصر التكنولوجيا .. والآن فلنذهب إلى شرق المدينة ..

سألتها وأن أزيد من سرعة السيارة :

- هل حددت مكان العالم (جاك بيار) ؟!

- تقريبًا .. صحيح أننى أحصل على الكثير من المعلومات بأسلوب التتبع وجمع البيانات ، لكن التخمين جزء مهم من عملى رغم كل شىء ..

ثم عادت إلى صمتها المستفز ، فسألتها :

- هل تعرفين السيد (أنور) منذ زمن طويل ؟

خرجت إجابتها مقتضبة للغاية :

- نعم .. إنه أستاذى فى هذا العالم ..

ثم عادت تواصل عملها على الكمبيوتر فلذت بالصمت أنا الآخر ، محاولاً تخيل طبيعة العلاقة بينها وبين السيد (أنور) .. لو لم أكن مخطئًا فهناك رابط بينها وبين السيد (أنور) أكبر من علاقة الأستاذ بالتلميذ .. الطريقة التى كان يلومها بها حين فاجأتنا فى غرفة (فرانسوا) ، وذلك الضيق الذى بدا عليها حين قرر السيد (أنور) أن يعمل منفردًا .. ثمة شىء ما لا أعرفه بعد لكننى لن أشغل بالى به طويلاً ..

هناك منظمة كاملة تستحق أن أتفرغ لها تمامًا ، وإلا ...

وصلنا إلى منطقة الفيلل فى الريف الفرنسى وقد أوشكت الشمس على المغيب ، وتوقفنا أمام فيلا صغيرة أنيقة من طابقين وذات حديقة منسقة فى الواجهة ، لتترجل (بريدجيت) وهى تقول ببساطة :

- هل أحضرت سلاحك معك ؟

- بالطبع .. هل تتوقعين أننا سنضطر لاستخدامه ؟!

- توقع غير المتوقع .. ألم يعلمك السيد (أنور) هذا بعد ؟

وتبعتها إلى باب الفيلا ، وقد بدأت حاستى البوليسية فى العمل .. لا كلاب حراسة ولا كاميرات مراقبة ، وهذا يعنى إما أن الرجل يعيش فى حالة طمأنينة مبالغ فيها وإما أن هناك أفخاخًا تنتظرنا فى الداخل ..

طرقت (بريدجيت) الباب عدة مرات دون مجيب ، لتنظر إلىّ كأنها تسألنى المشورة ، فقلت :

- سندخل على كل حال ..

ابتسمت لقولى هذا ، وأخرجت أداة معدنية رفيعة لتدسها فى الرتاج ، فقلت :

ـ انتظرى لحظة ..

وأخرجت منديلاً من جيبى ، نظرت هى إليه قائلة بسخرية :

ـ هل ستتحول إلى حاو وتخرج مفتاح الباب ؟

بادلتها السخرية :

ـ بل سأتحول إلى عرّاف .. لكنى لا أحسبك تحبين مشهد الدماء وهى تنزف من أنفى .. وأمام دهشتها ثبتّ يدى بالمنديل على أنفى ، وبيدى الأخرى أمسكت بمقبض الباب ، ثم أغلقت عينىّ وبدأت التركيز ..

تصاعد الألم فى رأسى بسرعة ، وبصعوبة أخذت صورة الفيلا من الداخل تتشكل فى رأسى ..

ها هى الردهة .. مظلمة لا أحد يتحرك فيها .. السلالم فى اليمين أتجه إليها بذهنى ببطء نسبى ، ثم أبدأ فى الصعود .. يوجد ضوء فى الممر ، إذن هناك شخص ما فى الأعلى .. أتقدم فى الممر تجاه الغرفة التى يتسلل الضوء خارجًا منها ..

أدخل الغرفة وأرى العالم (جاك بيار) لأنتفض فى ذهول !

ولك أن تتخيل ملامح (بريدجيت) التى رأتنى أمسك بالمقبض لتبدأ الدماء فى صبغ المنديل على أنفى ، قبل أن ترانى أتراجع منتفضًا لأخرج المسدس من جرابه لأسدده إلى الرتاج هاتفًا :

ـ لا وقت للتسلل .. بسرعة ..

وقبل أن تفهم كنت قد نسفت الرتاج برصاصة واحدة ، ثم دفعت الباب بقدمى كما اعتدت أنت أن ترى فى الأفلام البوليسية ، لأندفع داخلاً و(بريدجيت) من خلفى تهتف :

ـ ما الذى حدث ؟!

ـ بسرعة ..

وبقفزات سريعة كنت قد صعدت الدرج ، واندفعت إلى الغرفة الوحيدة المضاءة فى الطابق العلوى ، وحين وصلت (بريدجيت) لم تملك نفسها من أن تصرخ صرخة مكتومة وقد اتسعت عيناها فى هلع ..

فأمامنا كانت الغرفة خالية من الأثاث إلا من مكتب صغير فى الركن الأيمن ، استقر عليه كمبيوتر حديث ، خرجت

الأسلاك منه بصورة معقدة ، وقد استقرت فى منتصفها غرفة أخرى زجاجية أصغر حجمًا ، وقد امتدت ألواحها الزجاجية إلى السقف لتعزل من داخلها تمامًا .. فى الداخل رقد (جاك بيار) منهكًا على مقعد ضخم ، بدا أنه مثبت إليه برتاج إليكترونى عجيب ، وقد أخذ شعره الفضى يلتمع فى ضوء المصباح القوى فى السقف ، بينما أغرقت الدماء جسده كله ، وقد بدا وكأنه ينزف الدماء من مسام جلده ببطء شديد مخيف .. الأسوأ من هذا كله كان نظرة الغضب الهادرة التى أطلت من عينيه الزرقاوتين كأنه يحتج على حقيقة موقفه هذا .. حقيقة كونه يموت ببطء !

وكان هسيس أسطوانة الأكسجين التى رقدت جواره لتبقيه حيًا فى سجنه الزجاجى هذا ، هو ما دفع (بريدجيت) لأن تتمالك نفسها لتهمس :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟!

أجبتها وعيناى مركزتان على عينى (جاك بيار) :

ـ ألم تفهمى بعد ؟

وببطء فتح (جاك بيار) فمه لتسيل الدماء منه ، وخرج صوته متحشرجًا مقبضًا :

ـ إنها مراحل المرض الأخيرة .. إنه المصير الذى ينتظركم ..

اقتربت ببطء من الجدار الزجاجى الذى يفصلنى عنه ، لأقول :

ـ إذن أنت من صمم هذا الفيروس ..

ـ أنا من وضعت الأساس ، لكنهم واصلوا من بعدى الكثير .. وحين انتهت حاجتهم منى ، قرروا أن يجربوا الفيروس علىّ .. علىّ أنا ..

انتبهت (بريدجيت) فجأة إلى طبيعة عملها ، فسألت فى لهفة :

ـ من هم ؟ أخبرنا ..

صححت سؤالها :

ـ نحن نعرف من هم .. المشكلة هى أين هم ؟

بدا وكأن (جاك) يجاهد لانتزاع الكلمات من حلقه مع المزيد من الدماء :

ـ هم .. فى كل مكان ..

ـ كيف نصل إليهم إذن ؟

ـ هم سيصلون إليك .. أنت لا تفهم .. إنهم مجانين ..

طرقت (بريدجيت) على الجدار الزجاجى بانفعال ، وهى تهتف :

ـ من هم الخمسة الذين يحملون الفيروس ؟ كيف نصل إليهم ؟؟

صمت (بيار) طويلاً هذه المرة ، وبدا وكأنه يحسم أمر ما فى ذهنه قبل أن يقول :

ـ هل ترين هذا الكمبيوتر فى الركن ؟!

ـ نعم ..

ـ كل المعلومات التى تحتاجينها تركوها على هذا الكمبيوتر ، لكن ...

جاء دورى لأسأله بقلق :

ـ لكن ماذا ؟!

ـ لكنك لو حاولت تشغيله سيبدأ عداد زمنى مدته عشر ثوان .. بعدها .. سينبعث غاز سام فى غرفتى الزجاجية ليقضى علىّ فورًا ..

آآآه .. هذا المأزق القذر مجددًا !

عليك أن تقرر من سيعيش ومن سيموت .. ذات الموقف الذى تعرضت إليه مع (مجدى) ، ويبدو أنها هواية محببة لدى منظمة الفوضى ..

واجهتنى (بريدجيت) بنظرة متسائلة ، لكنى لم أمنحها الجواب .. صحيح أن الرجل ميت لا محالة ، لكننى بحاجة إلى برود أعصاب خرافى ، لأشاهده يموت بالغاز السام أمام عينىّ ..

وإن لم أفعل فقد ينتشر الفيروس ، وينزف العشرات دماءهم حتى الموت ..

والآن ضع نفسك مكانى وقرر من يحيا .. ومن يموت ..

بالطبع لم يحرمنا (جاك بيار) من الجملة المحفوظة :

ـ دعكما منى أنا .. إننى هالك لا محالة .. خذ القائمة ..

لكنى لم أجرؤ على تنفيذ رغبته الأخيرة هذه .. لقد قتلت بما يكفى حتى الآن !

سألت (بريدجيت) بقنوط :

ـ ما الذى سنفعله ؟؟

ـ لا أعرف ..

وظللنا على صمتنا هذا لدقيقة كاملة ، صرخ بعدها (بيار) فى ثورة :

ـ ما الذى تنتظرانه أيها الأحمقان ؟؟ شغلا الجهاز وخذوا القائمة .. على الأقل سينتهى هذا العذاب .. هذه الجدران الزجاجية ستمنع الغاز من الوصول إليكم إن كان هذا ما تخشيانه ..

ولأن الأمر يستحق التجربة أطلقت رصاصة من مسدسى على الجدار الزجاجى ، لترتد بعنف عن الجدار بدوى هائل امتزج بصرخة (بريدجيت) :

ـ أيها الأحمق .. ستقتلنا نحن بهذه الطريقة ..

ـ هل يمكنك أن تجربى تشغيل الكمبيوتر دون أن ينطلق الغاز السام ؟!

أجاب (بيار) سؤالى بيأس :

ـ لا يمكن .. حتى لو حاولت انتزاع القرص الصلب من الجهاز سيحدث ذات الشىء ..

دعكما منى ، يجب أن تحصلا على قائمة المصابين وعزلهم بسرعة ..

اتجهت إلى الكمبيوتر لأفحصه فعثرت على بطاقة بلاستيكية صغيرة جوار لوحة المفاتيح ، التقطتها لأقرأ :

> **الدرس الثانى للفوضى ..**
>
> **دائمًا هناك من يدفع الثمن .. المهم ألا يكون هذا الشخص هوأنت !**
>
> **د . مجدى**

وكانت (بريدجيت) من اتخذت القرار أخيرًا :

ـ لا فائدة .. لا يمكننا المخاطرة بانتشار الفيروس ..

وبوجه جامد اتجهت إلى الكمبيوتر وشغلته ..

وأشحت أنا بوجهى عن (بيار) وغرفته الزجاجية التى ارتفع فيها هسيس ثان بعد ثوان وقد بدأ الغاز السام ينتشر فى الداخل لكنى سمعت (بيار) يقول بآخر طاقته :

ـ لقد اخترتما القرار الصائب .. فليسامحنى الجميع ..

وساد الصمت بعدها فى المكان ، إلا من صوت أصابع (بريدجيت) على لوحة المفاتيح ، وقد بدا عليها أنها تقاوم

شعورًا عميقًا بالغثيان .. ها قد جربت القتل أخيرًا وبأسوأ صوره ..

مرحبًا بك فى عالمى !

وقررت أن تنطق أخيرًا فخرج صوتها باكيًا :

ـ لا يوجد سوى ملف فيديو واحد على الجهاز ..

ودون انتظار رد منى شغلت الملف ، ليظهر لنا الوغد الجديد (باتريك) بأناقته المبالغ فيها وابتسامته الواثقة .. وحين تحدث قال :

ـ إذن فلقد قررتم التضحية بالدكتور (جاك بيار) .. عظيم .. هذا يعنى أنكم قد بدأتم تتعلمون وهذا هو الغرض الأسمى للمنظمة ، على كل حال أكره أن أحبط أمالكم بأن أقول إن الجهاز لا يحتوى على القائمة ، ولا أصدق أنكم بالسذاجة الكافية لتصديق أننى كنت سأتركها لكم هكذا .. لكنكم تستحقون مكافأة على كل حال ، وهى أننى سأخبركم بالخطة التالية .. مكان العزيز (فرانسوا) .. إنه فى الـ (...) ، لكن لتصلوا إليه عليكم الخروج من الفيلا على قيد الحياة فهناك أصدقاء قدامى لـ (سامى) فى طريقهم لزيارتكم .. أرجو أن تحسنوا استقبالهم ..

وانتهى ملف الفيديو عند هذا الحد ، فانفجرت (بريدجيت) صارخة ، وانتزعت مسدسها لتطلق منه رصاصتين على شاشة الكمبيوتر ، لتنسفه تمامًا :

ـ كل هذا كان خدعة .. خدعة بلا ثمن ..

ـ حاولى أن تعتادى هذا فى الفترة القادمة ..

قلتها ثم حدث لى أغرب شىء منذ أن أجرى علىّ الدكتور (مجدى) تجربته اللعينة هذه ..

كنت أقف أمام (بريدجيت) فى الغرفة ، حين دوى الصوت فى رأسى ، واضحًا قويًّا مؤلمًا واثقًا :

ـ إنهما فى الداخل .. لنهجم الآن ..

و ... و ...

وبدأ الهجوم ..

* * *

٤ـ رجل المنظمة ..

بالطبع كنت أشعر بالارتباك .. بالطبع كنت أشعر بالحيرة ..

لقد سمعت صوت أحد الذين سيهاجموننا الآن فى رأسى ، ولا أعرف كيف ولا ما الذى يعنيه هذا ، لكنى أعرف أننى سأدفع ثمنه ..

كانت (بريدجيت) من أعدّت مسدسها أولاً وهى تقول :

ـ كم رصاصة معك ؟

ـ ثلاثة ..

ـ وأنا معى أربع رصاصات .. لنأمل ألا يزيد عدد المهاجمين عن هذا ..

كدت أجيبها ، لكن الصوت القوى دوى فى رأسى مرة أخرى :

ـ إنهما فى الطابق العلوى .. رجلنا ومعه فتاة واحدة ..

بالطبع لم أفهم حينها كيف استطاع صاحب الصوت معرفة هذا ، لكنى أسرعت إلى النافذة لأختلس النظر ،

فرأيت خمسة رجال يرتدون الملابس السوداء ، يحملون مسدسات ضخمة ، دخل ثلاثة منهم إلى داخل الفيلا ، بينما وقف الاثنان الباقيين عند سيارة (بريدجيت) ينتظران ، ثم ولدهشتى رفع أحدهما سلاحه بغتة ليطلق رصاصة تجاهى ارتطمت بإطار النافذة ، وجعلتنى أرتد إلى الخلف بسرعة وأنا أهتف :

ـ لقد بدأ الهجوم ..

لكن السؤال الذى كان يدوى فى رأسى ، كيف استطاع هذا الرجل التصويب علىّ بهذه الدقة والسرعة ؟!

أنا واثق أنه لم يرنى بالوضوح الكافى الذى يجعله يطلق النار ، وهذا يعنى أن هناك شىء ما يعرفون به تحركاتنا داخل الفيلا ..

بحثت فى الغرفة عن أى أثر لكاميرات مراقبة ، لكن (بريدجيت) قالت :

ـ لا كاميرات .. المهم كيف سنخرج من هنا ؟

ويقول الصوت فى رأسى :

ـ يجب ألا نسمح لهما بالخروج من هنا مهما كان الثمن ..

أجبت (بريدجيت) قائلاً :

ـ أولاً يجب ألا نتركهم يحاصرونا داخل الغرفة ..

وهكذا أسرعنا إلى الخارج فى اللحظة التى انقطع فيها التيار الكهربى عن المكان ليسود الظلام وليزداد الحفل بهجة ..

همست وأنا أصغى إلى أصوات الحركة فى الطابق السفلى :

ـ سأحاول شغلهم لفترة .. لا تترددى فى الهرب لو أتيحت لك الفرصة ..

ـ لكن ..

ـ لا لكن .. إنهم رجال المنظمة ، وأنا أعرف تمامًا أن قدراتهم تفوق قدرات أى شخص عادى واجهتيه من قبل .. اهربى عند أول بادرة أمل ..

لكن لم أر أى بادرة أمل فى موقفنا هذا .. لقد أحكموا الحصار علينا ، وما هى إلا لحظات حتى يصعد أحدهم إلينا لتبدأ مواجهة غير متكافئة الأطراف ..

ـ إنه سيحاول تهريب الفتاة .. امنعاها من الهرب ..

هذه المرة سرت القشعريرة فى جسدى ، وتجمدت فى مكانى ذاهلاً .. أنا أعرف يقينًا أنه لم يستطع سماع همسى المتبادل مع (بريدجيت) ، إذن كيف ؟؟!

هنا ارتفع صوت الرجل من الطابق السفلى :

ـ لا ترهق نفسك بالتفكير ، فنحن نرى ونسمع عبر عقلك أنت ..

وقبل أن يعطينى فرصة للفهم ، سمعت صوت جسم معدنى يرتطم بالحائط ثم يسقط على الأرض ، فلم أتردد لحظة .. جذبت (بريدجيت) من يدها واندفعت أعدو بأقصى سرعة ممكنة وسط هذا الظلام الدامس ، صارخًا :

ـ قنبلة ..

وكما توقعت ، انتزعتنا الموجة التضاغطية من على الأرض ، لتدفع بنا إلى الحائط المواجه ، ومن خلفنا ومن على مسافة بعيدة ـ لحسن الحظ ـ دوى الإنفجار ليسطع المشهد كله لثوان أمامى قبل أن أرتطم بالحائط بعنف شعرت معه أنها النهاية ..

وإذ سقطت على الأرض والشظايا تمطر علينا ، همست بألم :

ـ (بريدجيت) ..

ـ لا زلت حية ..

كان الانفجار قد صنع فجوة فى السلم الذى يقود إلى الطابق العلوى ، لكن الشظايا المشتعلة وفرت الضوء الكافى للمهاجمين ، فانهالت الرصاصات علينا على الفور لأجذب (بريدجيت) المتهالكة جوارى إلى أحد الغرفة المجاورة التى تسلل إليها ضوء القمر ، ولأحكم إغلاق الباب من خلفنا ..

ما زالا على قيد الحياة .. يجب أن نصعد إليهما ..

يقولها الصوت فى رأسى ، فأنظر إلى (بريدجيت) وأفكر .. هذه الفتاة حمولة زائدة فى موقفى هذا ، لكنها قد تصبح ذات عون إذا ..

ـ (بريدجيت) .. كيف سنتصرف ؟

ـ هل تسألنى أنا ؟!

ـ أى شىء سأقترحه سيعرفونه ما إن أفكر فيه .. اقترحى أنت شيئًا .. أى شىء ..

بدت الحيرة فى عينى (بريدجيت) للحظات ، قبل أن تقول :

ـ يمكننا .. أن .. ربما .. نحن هالكان لا محالة ..

ـ أشكرك بحرقة ..

مجرد حمولة زائدة .. لكنى أتذكر شيئًا ، فأضع راحة يدى على الجدار وأبدأ فى التركيز .. على الأقل يمكننى تحديد مكانهم بهذه الطريقة ..

أغلق عينى فتبدأ صورة للفيلا فى التكون فى رأسى ، ورغم الظلام الدامس الذى يسود المكان أبدأ فى تمييز أول الرجال عند مدخل الفيلا ، حاملاً مسدسه الكاتم للصوت ، وأتحرك فى الفيلا بعقلى لأجد الرجل الثانى خلف الساعة الضخمة فى الردهة ، يسدد مسدسه تجاه الطابق العلوى ، بينما يبدو أن الثالث ليس معهما فى الأسفل ..

ـ إننى قادم إليك ..

أتحرك فى الفيلا بعقلى أسرع بحثًا عن الثالث ، لأجده يقفز متجاوزًا الفجوة التى أحدثتها القنبلة فى السلم والممر العلوى ، ثم يتجه بهدوء واثق تجاه الغرفة التى نختبئ فيها ، قابضًا على مسدسه بثقة ..

- (بريدجيت) .. ابتعدى عن الباب ..

- ماذا ؟!

وقبل أن تفهم أقفز أنا لأفتح الباب ولأطلق النار على الثالث الذى لم يحاول التحرك من مكانه ليتجنب رصاصتى .. فقط تلقاها فى صدره ، ليطير جسده إلى الوراء قبل أن يسقط دون حراك كأن هذا ما كان يسعى إليه ..

أما أنا فسقطت على الأرض وتدحرجت لأتكوم فى ركن الممر بعيدًا عن سيل الرصاصات الذى انهال على الممر من الأسفل ، لأرى على ضوء الشظايا المشتعلة الثالث وهو يقوم من رقدته ببطء مخيف ..

إنه يرتدى درع واق من الرصاصات .. يالى من أحمق !

معى رصاصة أخيرة ، ولا أمل أمامى هذه المرة و ...

وفجأة ظهرت (بريدجيت) عند باب الغرفة لتطلق رصاصة صائبة اخترقت رأس الثالث ، فطار جسده هذه المرة ليهوى عبر الفجوة فى الممر إلى الطابق السفلى وليرتطم بالأرض بدوىٍّ هائل ..

- نهاية الممر .. بسرعة ..

قالتها وأخذت تعدو عبر الممر ، فتبعتها وصوت يصرخ فى رأسى :

- الفتاة .. لنقتلها ..

لكن (بريدجيت) دخلت الغرفة فى نهاية الممر ، وأنا من خلفها لتهتف :

- سنقفز عبر النافذة ..

وقبل أن تمنحنى الفرصة ، أطلقت رصاصة نسفت بها الزجاج ، ودون لحظة تردد واضحة قفزت إلى الخارج لتسقط على أرض الحديقة ، قبل أن تهب بسرعة مشيرة لى بأن أتبعها ، فقفزت أنا الآخر فى اللحظة التى سمعت فيها صوت الارتطام المعدنى بالأرض من خلفى .. وفى اللحظة التى لمس فيها جسدى أرض الحديقة ، ارتفع لسان من اللهب من النافذة التى قفزت منها وتردد دوى الانفجار فى المكان كله ، قبل أن يصرخ الصوت فى رأسى :

- المرآب الخلفى .. بسرعة ..

لكننا كنا نقف فعلاً أمام المرآب الخلفى ، حيث انتظرتنا سيارة (جاك بيار) ، ففهمت خطة (بريدجيت) على الفور ،

ودون لحظة تـردد واحـدة ، كنـا نحتـل السيارة لأنطلـق بهـا بأقصى سرعة .. أنطلق بها نحو النجاة ..

سمعت صوت بعض الرصاصـات وهـى ترتطم بحقيبـة السيارة الخلفية ، لكنى كنت أبتعد وبسرعة عن المكان ..

لقد نجونا هذه المرة .. نجونا ..

وبعدم تصديق هتفت :

ـ خطة رائعة ..

ـ لقد تذكرت خريطة المكان .. هذا كل ما فى الأمر ..

كنت أتوقع مطاردة من الرجـال ، لكـن هـذه المطـاردة لـم تحدث لحسن الحظ ، فواصلـت طريقـى إلـى وسط المدينـة ، وقد بدأت أنتبه إلى حقيقة مؤسفة ..

ها هـو اليوم الأول يمـر دون أن نحصـل علـى شـىء ذو قيمة ، وهذا يعنـى أن أمامنـا يومـان إضافيـان قبل أن يبـدأ الفيروس فى الانتشار ..

الواقع أنهم أتقنوا مخططهـم هذه المـرة وهـذا ليس فـى صالحنا .. يجب أن نتحرك أسرع منهم ، لكن .. إلى أين ؟!

ـ سنذهب إلى منزلى ..

قالتها (بريدجيـت) فتبعت تعليماتهـا ، حتـى وصلنـا إلـى بناية أنيقة قرب النهر ، وأوقفت السيارة على مسافة بعيدة نسبيًا ، لنصعد إلـى شـقتها حيث يمكننـا أن نحظـى ببعـض الراحـة وفرصـة لـترتيب الأوراق ، لكـن شاشـة كمبيوتـر مضاءة استقبلتنا ، ويبدو أن هذا كان ذو مغـزى خـاص ، إذ توتـرت ملامـح (بريدجيت) وهـى تسـرع إلـى الكمبيوتـر ، لتقرأ الرسالة التى كانت فى انتظارها ..

لحظات وندت عنها صرخة الهلع ، ثم نقلـت لـى الرسـالة كما هى :

ـ السيد (أنور) .. إنه يموووووت !!

ـ !!!!!

* * *

باقى ٤٨ ساعة وتنتشر العدوى

٥ ـ طرف الخيط ..

« سينجو .. إصابته بالغة ولكنه سينجو » .

يقولها الدكتور (برنارد) رئيس قسم الجراحة فى مستشفى (سان لويس) فأتنفس الصعداء كما يقولون .. السيد (أنور) لكم يبدو هذا مطمئنًا ..

ويواصل الدكتور (برنارد) :

ـ لقد جاء إلينا فى صدره ثلاث رصاصات .. إنها معجزة إن إحداها لم تصب قلبه أو أى شريان رئيسى وإلا ..

كانت (بريدجيت) تبكى كطفلة جالسة على مقعد الانتظار أمام غرفة السيد (أنور) الذى ظهر لنا عبر النافذة الزجاجية فى غيبوبة عميقة وهناك عشرات الأسلاك والخراطيم التى تدخل وتخرج من جسده ولكن جهاز رسم القلب كان ينقل لنا تلك الموجة المحببة والتى تقول أنه لم يمت بعد ..

وتركنا الدكتور (برنارد) ليباشر عمله فجلست جوار (بريدجيت) لأقول :

ـ لا أريد أن أبدو قاسيًا ولكن هناك مهمة فى انتظارنا ..

بدأت (بريدجيت) تلملم من نفسها لتقول بصوت باك :

ـ أعرف .. لكن ..

ـ إنه أستاذى أنا أيضًا ولكن هناك فيروس سينتشر وإن لم نحصل على قائمة المصابين خلال يومين ..

وهكذا شققنا طريقنا إلى الخارج ولم تكد سيارة (بريدجيت) تحتوينا حتى قالت هى :

ـ هل سنذهب إلى حيث يحتفظون بـ (فرانسوا) ؟

أجبتها مفكرًا :

ـ إنه فخ واضح ، لكننا لا نملك طرف خيط آخر لنجذبه ..

ـ الواقع أن هناك طرف خيط آخر .. لكن يجب أن تفهم أولاً كل شىء عنهم ..

ـ هم ؟ .. هم من ؟!

طال صمتها فبدت أشبه بالسيد (أنور) حين يقرر أن يفشى لى أحد الأسرار ، قبل أن تنطق أخيرًا :

ـ محركوا الدمى ..

* * *

« ما سأخبرك به الآن يندرج تحت بند السرية المطلقة » .

قالتها (بريدجيت) بلهجة تحذيرية كأنها تتحدث إلى طفل ولكنى تجاوزت هذه الحقيقة وتركتها تواصل :

ـ المشروع بدأ فى أوائل الثمانينات ولم يعرف عنه أحد أى شىء لسنوات طويلة قبل أن يبدأ فى الانتشار عبر أجهزة المخابرات والمشروع باختصار يعتمد على أن يقوم جهاز المخابرات بزرع مجموعة من العملاء لكن ليس بغرض الحصول على معلومات بل ليصلوا إلى مناصب عليا فى الاقتصاد والفن والسياسة هؤلاء العملاء يعملون كما يعمل الجاسوس النائم فى أول الأمر إذا يتفرغون للترقى فى المناصب والحصول على السلطة حتى تصبح فى يدهم مقاليد الأمور أى حتى يتحولون إلى محركى دمى يديرون مجموعة من الأهداف والأشخاص بخيوط خفية دون أن يشعر بهم أحد وبعد ذلك يتم استخدامهم فى مهام محددة ..

ـ أى نوع من المهام ؟!

ـ مثلاً نريد أن تحصل شركة بعينها على صفقة معينة وبصورة شرعية تمامًا يقوم محرك الدمى المسئول عن

الاقتصاد بتوجيه الدفة إلى شركتنا المطلوبة وأسعار سلع تزداد .. سعر عملة يتغير .. انهيار بعض الشركات الصغرى .. المهم أن يتم المطلوب بصورة تبدو طبيعية للغاية .. نفس الشيء يتم مع محرك الدمى المسئول عن السياسة أو الصحافة وبهذا قمنا بصنع هويتك كصحفى .. تاريخ كامل لك تم بناؤه .وتصديقه فى ساعات .. المهم أن محركى الدمى هؤلاء يظلون على قدر هائل من السرية ولا يعرف حقيقتهم سوى عدد محدود جدًا .

لاحظت بالطبع أنها لا تريد أن تكشف لى عن كل التفاصيل بفرض أنها هى نفسها تعرف أكثر مما قالته ، فسألت :

ـ كيف حصلت منظمة الفوضى إذن على قائمة محركى الدمى الذى يعملون لحسابنا ؟!

ـ هذه كارثة لدى تفسير وحيد لها فى الوقت الحالى .. المهم أنه طرف الخيط الذى سعى وراءه السيد (أنور) والذى أدى إلى إصابته .

وصمتت قليلاً لتتركنى أقلب هذا كله فى رأسى ، فبدا لى كل ما قالته مشوشًا ، فسألت بحيرة :

لا زلت لا أفهم علاقة هذا كله بنا ..

أجابتنى (بريدجيت) موضحة :

ـ سلاح منظمة الفوضى الأساسى فى حربها معنا هو المعلومات ولو بدأت فى السعى خلف محركى الدمى فستهدم مجهود سنوات طويلة والأسوأ لو سقطوا فى أيدى المنظمة لن يمكنك تخيل كم المعلومات الذى قد يحصلون عليها هذه المرة ..

ـ لماذا لا تقومون بتحذيرهم إذن ؟

ـ لابد أن هذا ما فعله السيد (أنور) بالفعل ، لكن الأمر ليس بالسهولة التى تتصورها فهم يعملون فى مناصب حساسة للغاية واختفائهم دفعة واحدة سيثير الشكوك بالطبع مرة أخرى حاولت ربط هذا كله بما نحن فيه وما حدث للسيد (أنور) فلم أستطع ..

مشكلة من يعملون فى المخابرات أن الكتمان جزء لا يتجزأ من طبيعتهم ولذا فهم يعتقدون أنهم إذ يمنحونك أقل القليل من المعلومات ، فهم بذلك يجودون عليك بكل غال ونفيس ، وعليك أنت استنتاج الباقى كله ..

نصيحة مجانية .. لا ترهق نفسك بمحاولة الاستنتاج لأنك لن تستطيع !!

فى صبر عدت أسأل :

ـ إذن فهناك محركو دمى والمنظمة تسعى خلفهم فى الوقت الذى نسعى نحن فيه خلف الفيروس والسيد (أنور) راقد فى غيبوبته الآن وأين طرف الخيط فى هذا كله ..؟؟

ـ ألم تفهم بعد ؟!

ـ اقسم بقبر أمى أننى لم أفهم ..

ـ محركو الدمى لا يعملون بمفردهم ، بل ولا يعرف أحدهم الآخر ، هناك قائد لمجموعتهم نطلق عليه اسم (المحرك الرئيسى) ، وهو الذى يكون على اتصال بالضابط المسئول فى جهاز المخابرات ، وهو الوحيد الذى يمكنه أن يعرف كل شىء عن باقى أعضاء الفريق .

بدأت بذرة الفهم تنبت فى رأسى وحين اكتملت الصورة فى رأسى صرخت :

ـ هل تقصدين أن ..؟!

ـ نعم .. المحرك الرئيسى .. إنه خائن وهو من منح منظمة الفوضى القائمة السرية .

ـ !!

* * *

دعونى آخذ من وقتكم دقائق قليلة لأعرفكم بـ (فيليب جوردون) ..

أنتم لا ترونه الآن لذا أغلقوا عيونكم قليلاً وحاولوا تخيله معى .. تخيلوا معى مجسم لرجل وحاولوا تركيب الملامح التالية عليه لتحصلوا على الصورة النهائية ..

إنه متوسط القامة ، لكنك تشعر أن قامته مشدودة بصورة مبالغ فيها رغم كبر سنه الواضح والأمر الذى قد يشعرك أنه رجل جيش وأنت فى هذا محق ..

فـ (فيليب) حاصل على رتبة جنرال ويبدو أنها تليق به حقًا ..

أضف إلى الصورة فى خيالك ملامح صارمة وعينين لا تطرفان وفم مزموم الشفتين بصورة تنم عن القسوة .. هل يمكنك تخيله الآن ؟.. عظيم . يتبقى أن أخبرك أن (فيليب) قائد فرق الأمن الجمهورى فى باريس ..

والآن تخيله في مكتبه وتخيل شعور ذلك الشاب الذى يقف أمامه محاولاً تبرير موقفه وابتسم بطمأنينة لأنك لست مضطرًا لأن تكون مكان هذا الشاب ..

تخرج الكلمات من (فيليب) بطيئة باردة :

ـ ما الذى تعنيه أنكم لم تعثروا على أية أدلة ؟

ـ سيدى .. لقد حاولنا .. لكن الشهود أنفسهم أكدوا أن الأمر حدث بسرعة و ..

ـ مصرى يطلق عليه النار من قبل ثلاث رجال فى عربة مسرعة وعلى بعد شارعين فحسب من مبنانا ولا يوجد دليل واحد تجدونه .. هل تمزح ؟

يتلعثم الشاب المسكين أكثر وأكثر :

ـ سيدى .. المصرى الآن .. فى غيبوبة فى مستشفى (سان لويس) وما إن يستفيق حتى سنبدأ فى استجاوبه و .. و ..

ـ سأتولى إدارة هذه القضية بنفسى ..

هنا ابتلع الشاب لسانه ولاذ بالصمت التام ومرّت دقيقة قبل أن ينطق (فيليب) ليقول :

ـ سأقوم باستجواب هذا المصرى بنفسى ما إن يستفيق .. ماهو اسمه ؟

ـ (أنور) يا سيدى .. اسمه (أنور) ..

ـ حسنا يمكنك الانصراف ..

قالها فأسرع الشاب بالانصراف من أمامه كأنه كان ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر تاركًا الجنرال يرمقه بنظرات باردة ، حتى أغلق الباب خلفه .. ولم يكد يفعل حتى ارتفع رنين هاتفه المحمول ، فأخرجه من جيبه ليجيب باقتضاب :

ـ فيليب ..

ـ هناك تطورات مهمة ويجب أن نلتقى ...

ـ متى ؟

ـ الساعة السابعة مساءً وعند المصنع القديم ..

سأكون هناك ..

وأنهى المكالمة كما هو الطابع الغربى حيث لا ينهون كل حديث لهم بالقبلات والتمنيات والوعود الزائفة ، بل أعاد

هاتفه المحمول إلى جيبه وظل على صمته برهة ، ثم همس محدثًا نفسه :

ـ (بريدجيت) ..

الآن يمكننا أن نترك الجنرال (فيليب) فى شأنه مع وعد بالعودة إليه قريبًا جدًا لكن يتبقى أن أخبرك بالسبب الذى دفعنى لأن أعرفك به فى المقام الأول ..

السيد (فيليب جوردون) هو الوحيد الذى يعرف كل شىء عن محركى الدمى الذى يعملون فى فرنسا ..

إنه المحرك الرئيسى ..

* * *

« هل تصلح خطتنا ؟ » .

أقولها فى قلق ، فتجيبنى (بريدجيت) بصدق :

ـ لا أعرف ..

أحيانًا يضايقنى صدق من حولى و (بريدجيت) تهوى الصدق ..

كنا نقف فى تلك الساحة خلف المصنع القديم فى انتظار الجنرال (فيليب جوردون) الذى عرفت أنه (المحرك

الرئيسى) والوحيد الذى يمكنه منح منظمة الفوضى القائمة الكاملة لمحركى الدمى ، وكانت خطتنا تستحق المخاطرة .. الرجل سيأتى وهو لا يعرف أننا نشك فيه حينها نهجم عليه ونحقنه بسائل ما ونخبره أنه الفيروس الذى أرسلته لنا منظمة الفوضى ، ويصبح الخيار الوحيد أمامه أن يتكلم وإلا ..

بالطبع هناك احتمال ألا يأتى بمفرده ، وأن يستعين برجال المنظمة ، لذا نحن هنا منذ أول اليوم لنعد الأرض للمعركة التى قد تحدث وهنا سيأتى دورى أنا ، وهو دور لا أرغب فيه على الإطلاق ، لكن من قال إن لدى الخيار ؟!

يوم آخر وسيبدأ المصابون بالفيروس بنشر العدوى ، وهذا ما لا يمكننا أن نسمح به ..

نظرت إلى ساعتى لأجدها قاربت السابعة مساءً ، فقلت :

ـ لقد حان الوقت ..

نظرت (بريدجيت) هى الأخرى إلى ساعتها لتقول :

ـ هل أنت مستعد ؟

ـ أعتقد هذا ..

وعدنا لانتظارنا الصامت ، عدت أنا إلى هواجسى التى لا تنتهى .

ماذا لو لم يكن الجنرال (فيليب) خائنًا ؟

هذا يعنى أن الخائن فى صفوفنا فى مصر ، أى أن المنظمة قد وصلت إلى أبعد مما يظن الجميع ..

وصلت إلى الحد الذى يستوجب تدميرها كما قال السيد (أنور) ..

قالت (بريدجيت) فجأة وهى تعمل على كمبيوترها المحمول :

ـ لو لم ننجح اليوم سيتم إرسال رسالة طوارئ لجميع محركى الدمى وسيتركون البلاد على الفور وبهذا نضمن ألا يسقطوا فى أيدى المنظمة ..

ـ وماذا عن الفيروس ؟!

ـ المفترض أن معاملنا الفرنسية تبحث عن لقاح ضد الفيروس أو علاج له ولكن هذا قد يستغرق وقتًا والوقت فى حالتنا هذا يعنى آلاف الضحايا ..

ـ (بريدجيت) .. كونك تعرفين هذا كله يؤكد أنك لست مجرد عميلة لنا .. ماهى طبيعة علاقتك بالسيد (أنور) بالضبط ؟

كادت تجيبنى لكن سيارة سوداء لاحت من بعيد فأغلقت (بريدجيت) الكمبيوتر لتقول :

ـ لقد حان الوقت ..

وماهى إلا لحظات حتى بلغتنا السيارة السوداء ، وتوقفت قربنا ليخرج منها الجنرال (فيليب) شخصيًا ليحدجنا بنظرات قاسية لا مبرر لها ..

وكان عمليًا للغاية فقال :

ـ لقد جئت حسب الموعد ..

تساءلت فى أعماقى كيف سأهجم على هذا الرجل لتحقنه بالسائل ولكن (بريدجيت) قالت :

ـ هل عرفت بالتطورات الأخيرة ؟

ـ بخصوص رجلكم .. إنه فى المستشفى لكنه سينجو ..

ـ أعرف .. السؤال هو كيف حدث له هذا ؟

رمقنى الجنرال بنظرة قاسية كأنما يقرر إن كان وجـودى مسموحًا به ثم حزم أمره ليجيب :

ـ لقد كان فى طريقه لى .. هذا كل ما أعرفه ..

سألته (بريدجيت) بغتة :

ـ كيف حصلت منظمة الفوضى على قائمة محركى الدمى ؟

ابتسم الجنرال فازددت قلقًا ، قبل أن يجيب :

ـ عن أى قائمة تتحدثين ؟ .. رجلكم كان فى طريقه إلـى ليعقد صفقة ولكننى لم أعد بحاجة إليه .

بدت الدهشة جلية على ملامح (بريدجيت) وهى تسأل :

ـ صفقة ؟ .. عن ماذا تتحدث بالضبط ؟!

ـ لقد جاء ليبلـغ عن عميلة وسط صفـوف المخابـرات الفرنسية .. وأعتقـد أنـك كشـفت نفسـك بحماقـة جديـرة بالإعجاب حقًا ..

وقبـل أن أفهـم ارتفـع صـوت رجـال ظهـروا مـن العـدم وأخذوا يتحركون بسرعة ليحيطوا بالمكان كلـه فـى لحظـات معدودة قبل أن يهتف أحدهم :

ـ لقد حاصرنا المكان كله .. الجاسوس المصرى وعميلتنا التى تعمل لحسابهما هنا ..

وبابتسامة تتسع قال الجنرال :

ـ أعتقد أنه لا داع للمقاومة .. إنها نهاية المطاف ..

* * *

٦ ـ خدعة المحرك الرئيسى ..

كيف كان لنا أن نتوقع حدوث هذا ؟!

كانت خطتنا أن نجبر الجنرال على التحدث وها نحن الآن محاصرون من قبل رجال المخابرات الفرنسية تطالبنا بتسليم أنفسنا بتهمة التجسس ..

ورغم دقة موقفنا كانت الصدمة البادية على وجه (بريدجيت) تستحق الشفقة حقًا .. الآن لم يعد هناك مبرر لما نفعله .. سيسقط محركو الدمى وسينتشر الفيروس وسنكون نحن فى هذا الوقت نحاكم بتهمة التجسس .. حتى لو نجونا من هذا الموقف ، فلقد تدمرت حياة (بريدجيت) وإلى الأبد ..

ساخرًا قال الجنرال (فيليب) وهو يغلق جهاز التسجيل الذى كان يحمله معه :

ـ مع تحيات السيد (باتريك) ..

لقد أحسن (مجدى) اختيار خليفته حقًا .. للأسف هذه هى الحقيقة ..!

بحرقة هتفت (بريدجيت) :

ـ أيها الأحمق ولو انتشر الفيروس سيسقط الجميع ضحايا له ..

ـ من قال لك أننا سنتركه ينتشر ؟ ..

سنتركه بضعة أيام فحسب ، ثم حاولى تخيل كم سيبلغ ثمن علاجه حين نعرضه للبيع ..

هتفت أنا بأمل :

ـ هناك علاج للفيروس ..

ـ لا أحد يصنع سلاحًا لا يمكنه هزيمته ..

ـ لكن لماذا ؟! .. هل تعرضت للتجربة ؟ .. لماذا قررت العمل معهم ؟

جاء الرد مخيفًا من شفتى الجنرال :

ـ لن يمكنك تخيل الحد الذى بلغته المنظمة .. أنا عرفت .. وأنا من سعى للعمل معهم ..

كان رجال المخابرات الفرنسية يضيقون الدائرة التى تحيط بنا ببطء ، وهم يسددون أسلحتهم نحونا ، بينما أخذ

الجنرال (فيليب) يتراجع إلى الوراء ببطء ، فقلت محدثا (بريدجيت) :

ـ يبدو أنه لا خيار آخر أمامنا ..

ببطء هزت رأسها موافقة ، وقبل أن يفهم ضغطت (بريدجيت) على زر فى جهاز صغير كانت تحمله فى يدها طيلة الوقت ، لتنفجر قنابل الدخان الى زرعنا فى المكان ولتبدأ الفوضى ..

وبالقدرات التى حصلت عليها من تجربة (مجدى) بدأت الهجوم .. أنا ضد سبع رجال مخابرات محترفين ومستعدين للمواجهة .. باختصار معركة محسوم نتيجتها قبل أن تبدأ .. لكننى إذ هجمت على أقرب الرجال إلىّ وقد انعدمت الرؤية أو كادت من الدخان ، حدث أغرب شىء من الممكن حدوثه ..

ظهر فجأة رجل يرتدى قناعًا واقيًا من الدخان ويحمل فى يده مسدس عجيب الشكل أطلق منه جسم مدبب على رجل المخابرات الذى كنت سأهاجمه ، فتلوّ هذا الأخير للحظة ثم سقط على الأرض كحجر ..

وبسرعة أمسك الرجل ذو القناع بذراعى ليقول :

ـ اتبعنى ..

بالطبع لم يكن الموقف يحتمل الشرح ، فتبعته على الفور وسط سحب الدخان الذى طوقت المكان لأجد رجل آخر يرتدى قناعًا واقيًا يقتاد (بريدجيت) من ذراعها وهو يطلق تلك الأجسام المدببة على رجال المخابرات ، لكن (بريدجيت) كانت تقاوم بعنف الرجل الذى يقتادها فالتفت إليها ليطلق عليها جسمًا مدببًا من مسدسه ، لتسقط على الأرض دون حراك ..

أذكر أننى صرخت محتجًا :

ـ (بريدجيت) ..

أذكر أننى انتزعت ذراعى من يد الرجل ذى القناع الذى يقودنى عبر الدخان ، لأهجم على المقنع الثانى الذى كان أطلق سلاحه على (بريدجيت) بسرعة لم يستوعبها ..

أذكر أيضًا أننى شعرت بشىء ما مدبب ينغرس فى ظهرى ، وبشعور عجيب بالخدر يسرى فى عروقى ..

هذا هو آخر ما أذكره قبل أن أفقد الوعى ، لتظلم الدنيا من حولى ..

* * *

حين استيقظت كانت المعلومات تتسلل إلى رأسى ببطء .

أنا فى سيارة .. تلك الاهتزازات المنتظمة تقول إننى فى سيارة .. هناك أشخاص معى فى السيارة ولكن الرؤية لاتزال مشوشة أمامى ، ولا زلت عاجزًا عن النطق بحرف .. يبدو أن الفتاة فاقدة الوعى جوارى هى (بريدجيت) .. نحن لم نمت إذن .. لكن ..

أين نحن ؟!

هممت بالتحرك فشعرت بالألم فى ظهرى ومع الألم بدأت ذاكرتى تعود لى فى دفعات متتالية .. الألم الجسم المدبب .. رجال مقنعون .. حصار رجال المخابرات الفرنسية لنا .. مخطط زعيم منظمة الفوضى الجديد (باتريك) .. محركوا الدمى .. الجنرال (فيليب) الذى يقوم بدور المحرك الرئيسى والذى انضم للمنظمة وهناك من أنقذنا من المعركة .. فمن هو إذن ؟؟

وإذ بدأت الرؤية تتضح أمامى رأيت الرجل الجالس على يمين السائق يلتفت لينظر لى ، قائلاً بصوت مألوف :

مرحبًا بعودتك ..

ـ فرانسوا ؟ !! كيف ؟!

ـ سأشرح لك كل شىء ما إن نصل ..

واعتدل الكونت (فرانسوا) فى جلسته ليتركنى أستوعب ما يحدث من حولى فى بطء .. لقد كانت رصاصة مخدرة التى أطلقها المقنع علىّ إذن .. لاحظت أيضًا أننى فى شاحنة وأنه خلف المقعد الذى أجلس عليه أنا و (بريدجيت) فاقدة الوعى ، يجلس أربعة من الرجال على مقعدين متواجهين .. هؤلاء هم من أنقذونا ..

استيقظت (بريدجيت) بعد فترة لتدخل فى مرحلة استيعاب (ما يحدث) قبل أن تستفيق تمامًا لتسأل عن (الذى حدث) ..

بالطبع فاجأها وجود الكونت العجوز الذى يبدو أنه نجى من قبضة المنظمة بطريقة ما ، ثم قررت أن تصمت حتى نصل إلى وجهتنا حيث سيشرح لنا (فرانسوا) ما يعرفه حتى الآن ، لكنى لاحظت أيضًا أنها كانت فى حالة صدمة واضحة ..

لقد قضت كل السنوات الماضية لتزرع نفسها كعميلة لنا فى المخابرات الفرنسية وها هى الآن مطاردة من قبل الجميع .. حقًا لم يكن فى إمكانها استيعاب موقف كهذا ..

وصلنا بعد فترة لا بأس بها ، فتوقفت بنا الشاحنة ، وخرجنا منها لأجد أننا نقف فى مرآب أحد الفنادق ، ويبدو أن هناك سيارة أخرى كانت تتبعنا حملت خمس رجال آخرين من رجال (فرانسوا) الذى سأل أحدهم ما إن خرج من السيارة :

ـ هل أحضرتم ضيفنا ؟

ـ نعم يا سيدى ..

ـ احملوه إلى غرفتنا إذن ..

ثم أشار إلىّ و (بريدجيت) بأن نتبعه ، ففعلنا لنصعد عبر الدرج إلى الطابق الثالث من هذا الفندق الغريب ، ثم إلى أحد الغرف التى لم يبد عليها أنها تليق بالكونت على الإطلاق ..

سألته ببساطة :

ـ يبدو أن حياة الهرب لا تناسبك .. لم أكن أتخيل أنك تحيا فى غرف كهذه ..

ـ لا أحد سيتخيل أننى أحيا فى غرف كهذه وهذا هو المطلوب ..

جلسنا بينما دخل ثلاثة من رجال الكونت وهم يحملون رجلاً من إن رأيته حتى قفزت من على مقعدى غير مصدق بينما شهقت (بريدجيت) ذاهلة ..

ـ الجنرال (فيليب) ..

ألقى الرجال الثلاثة بالجنرال الفاقد الوعى على أحد المقاعد وتولى أحدهم مهمة تكبيله بأغلال معدنية إلى المقعد ، بيما أجاب (فرانسوا) بهدوئه المعتاد :

ـ يبدو أننا سنحتاج إليه ولذا لم أجد أنها فكرة سيئة أن أحضره معنا ..

ـ لكن كيف ؟!

ـ اجلسا وسأخبركما ما حدث .. واصغيا لى جيدًا ، فما سأخبركم به فى غاية الأهمية .. والخطورة !

* * *

يحكى لنا الكونت (فرانسوا) :

ـ منذ أن دمر الدكتور (مجدى) حياتى وأنا هارب من الجميع .. صحيح أننى لم أتوقع موته بهذه الطريقة .. لكن السؤال الذى ظلّ يؤرقنى هو ، هل سينتهى كل شىء

بموته ؟! هل تتوقف منظمة الفوضى عند هذا الحد ؟؟ .. ولأننى هارب لم يكن أمامى سوى أن أتفرغ للمنظمة تمامًا وأن أبدأ أنا الآخر فى جمع المعلومات ، وكان أول ماتوصلت إليه هو (باتريك) ..

ويصمت لحظة ليستجمع المعلومات فى رأسه ، ثم يواصل :

ـ (باتريك) هو زعيم المنظمة الحالى وهو اختيار الدكتور (مجدى) الموفق ، فهو لا يقل عنه جنونًا إن لم يزد .. لذا بدأت فى محاولة جمع المعلومات عن هذا الرجل ، حتى أننى سافرت إلى بريطانيا حيث موطنه الأصلى ، لأنقب عن تاريخه الذى لم يحمل لى سوى شىء واحد فقط ..

الغموض .. الرجل لا تاريخ له على الإطلاق .. لا يوجد من يعرفه أو رآه من قبل ولا يوجد من يعرف أين كان أو ما الذى كان يفعله قبل أن يلتقى بـ (مجدى) .. الشىء الوحيد المؤكد أن الدكتور (مجدى) التقى به فى أحد الأيام فى أحد الفنادق فى لندن وأنه اجتمع به يومها لست ساعات كاملة ، ولم يلتقوا بعدها قط ..

من هو باتريك بالتحديد ؟ وما الذى حدث خلال الست ساعات التى اجتمع بها بـ (مجدى) ؟ .. لا أحد يعرف ..

تسأل (بريدجيت) مستغربة :

ـ هل تقصد أن الدكتور (مجدى) اختار رجلاً لا يعرفه ، ولم يلتق به سوى لست ساعات ليكون خليفته فى قيادة المنظمة ؟

ـ ربما كان الدكتور (مجدى) على اتصال سرى معه ، لكن اللقاء الوحيد الذى حدث بينهم كان ذلك اللقاء فى الفندق .. على كل حال كان علىّ الاستعانة بأصدقائى القدامى لمعرفة كل شىء ممكن عن (باتريك) وعن المنظمة .. والشىء الوحيد الذى توصلوا إليه هو أن (باتريك) وبعد أن مات الدكتور (مجدى) قام بعدة رحلات إلى أمريكا يقضى اليوم كله فى أحد الفنادق ، ثم يختفى تمامًا من الساعة السابعة مساءً وحتى العاشرة .. أين كان يذهب خلال تلك الساعات الثلاث ، وبمن كان يلتقى ؟! .. لا أحد يعرف .

جاء دورى لأسأل :

ـ وما الذى يعنيه هذا كله ؟!

فيجيب الكونت (فرانسوا) :

ـ معناه أن هناك مخططًا ما يدور .. مخطط أكبر بكثير من الفيروس والمصابين ، ولابد أن (باتريك) يستعد له بأقصى قوته ، لهذا قرر الحصول على محركى الدمى ..

قالت (بريدجيت) بحزم :

ـ لقد أرسلت رسالة طوارئ إلى محركى الدمى كلهم .. سيغادورن البلاد الليلة وستقوم الإدارة بتنبيه باقى محركى الدمى فى باقى البلدان .. لكنى أريد أن أعرف .. كيف نجوت من قبضة المنظمة ؟!

ابتسم الكونت العجوز :

ـ كما أخبرتك .. لى أصدقاء قدامى ، ولقد أخطأت المنظمة حين استهانت بى .. أخطأت وستدفع ثمن هذا الخطأ ..

ثم أشار إلى الجنرال (فيليب) الذى بدأ يستعيد وعيه ، ليقول :

ـ والآن ليبدأ حفل الاستجواب .. فهذا الوغد لديه الكثير ليخبرنا به ..

استغرق الجنرال (فيليب) دقيقة كاملة حتى استوعب موقفة ، ليجد نفسه مكبلاً إلى المقعد ، فأخذ يغمغم ببضع

كلمات بعصبية وهو يحاول تخليص نفسه من قيوده ، ثم استسلم أخيرًا ليقول بمقت :

ـ أيها الحمقى .. ستدفعون الثمن ..

ـ مرحبًا بك فى ضيافتى أيها الجنرال ..

ـ (فرانسوا) .. إذن فلقد نجوت حتى الآن .. لا زلت ماكرًا كالثعالب إذن ..

ـ إنها سنوات الخبرة ..

قاطعت أنا حفل الذكريات هذا قائلاً :

ـ هناك أسئلة ستجيب عليها بهدوء وإلا ..

ـ لن تحصلوا منى على حرف واحد ..

وأخرجت مسدسى من جرابه تمهيدًا للمناقشة ، لكن (بريدجيت) استوقفتنى قائلة :

ـ الحل الآخر أفضل بكثير ..

وبهدوء بالغ أخرجت المحقن من جيب معطفها ، ورفعته أمامها لتفرغه من الهواء أمام عينى الجنرال الذى استحال غضبه إلى ذعر ، وهو ينتزع الكلمات من حلقه :

ـ ما .. ما هذا ؟!

ـ هدية أرسلها لنا صديقك (باتريك) .. يقول إن الفيروس يحتاج لثلاث أيام ليصبح معديًا ، ثم ثلاث أيام إضافية ليموت المصاب به .. ساعدنى لو سمحت ..

ساعدتها فى كشف ذراع الجنرال الذى انتابته حالة هياج ، وهو يحاول تحرير نفسه من القيود التى تشل حركته ، صارخًا :

ـ أيها الأوغاد .. هذا ليس عدلاً ..

أجبته ببرود :

ـ وهل العدل أن يصاب به الجميع عداك ؟

ولم يعترض الكونت (فرانسوا) وهو يشاهد (بريدجيت) تفرغ السائل فى عروق الجنرال الذى أخذ يصرخ فى هلع :

ـ لا اااا .. أيها الأوغااااد .

وبقسوة من دمرت حياتها منذ ساعات قالت (بريدجيت) :

ـ والآن .. لقد قلت أن هناك علاج للفيروس .. لو أردت أن نطلق سراحك لتحصل عليه أجب على جميع

أسئلتنا دون نقاش .. والآن أين هى قائمة المصابين بالفيروس ؟!

وعلى عكس ما توقعت ، لاذ الجنرال بالصمت التام وهو ينظر إلى الأرض وكأنما فقد النطق فجأة ، فكررت (بريدجيت) :

أين قائمة المصابين بالفيروس ؟!!

لكن الجنرال ظل صامتًا ..

ـ أين .. قائمة .. المصابين ؟!!

صرخت (بريدجيت) الجنرال ظلّ صامتًا ، وبدأ القلق يدب فى أعماقى ، بينما اعتدل (فرانسوا) بتوتر ، محاولاً فهم ما يحدث ..

وفقدت (بريدجيت) أعصابها أخيرًا ، فصفعت الجنرال صفعة مدوية ، وهى تصرخ بهيستريا :

ـ أين القائمة أيها الحقير ؟!؟!

وأسرعت أنا لأمسك بـ (بريدجيت) التى انهارت دفاعاتها النفسية فجأة ، فأخذت تصرخ وهى تحاول الهجوم على الجنرال لتمزقه بأظافرها ، لكن الجنرال (فيليب) بدا وكأنه

يحاول كتم ضحكاته ، ثم وأمام أعيننا الذاهلة ، لم يستطع المقاومة أكثر ، فارتفعت ضحكته تجلجل فى سماء الغرفة ..

هنا لم أستطع أنا إلا أن أهجم عليه لأمسكه من ياقته معتصرًا عنقه ، وأنا أهتف :

ـ ماالذى يضحكك أيها الحقير ؟!

ـ أنتم مجموعة من الحمقى .. كح كح .. لقد توقع (باتريك) أن (فرانسوا) قد يظهر ليساعدكم وأنه قد يختطفنى كذلك ..

بدأ التوتر فى التسلل إلى ملامح (فرانسوا) الذى سأل :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

ـ يعنى أننى كنت أحمل جهاز تتبع طيلة الوقت فى ملابسى ، ولابد أن رجال المنظمة قد حددوا مكاننا الآن ويستعدون للهجوم .. حمقى .. أنتم مجرد حمقى ..

وارتفعت ضحكاته مرة أخرى كأنما يهنئ نفسه على خدعته ..

خدعة المحرك الرئيسى ..

* * *

٧ ـ مخطط للفوضى ..

مرة أخرى سأنتقل بكم إلى مكان آخر وحدث آخر مع وعد بالعودة السريعة إلى حيث كنا .. المشكلة أن الأحداث تتحرك فى أكثر من خط وفى الوقت ذاته ، وصحيح أننى لم أعرف الصورة كاملة إلا فى النهاية ، لكنك القارئ وتستحق مزيدًا من الرفاهية بأن تعرف كل شىء فى وقته ..

نحن الآن أمام مستشفى (سانت لويس) والوقت هو العاشرة مساءً ، ويمكنك رسم الصورة التى تريدها عن المستشفى فلا فارق .. إنها مستشفى تخرج وتدخل منها عربات الإسعاف طيلة الوقت ، حاملة المرضى والمصابين والموتى .. لا جديد ..

سنتوقف عند تلك السيارة التى يخرج منها أربع رجال يرتدون معاطف رمادية ثقيلة ، وسنركز قليلاً فى ملامحهم .. صحيح أنها لا تحمل أى تشابه فى الطابع العام ، لكن الجمود هو السمة العامة فى ملامحهم .. جمود ونظرات خاوية لأشخاص يتحركون وكأنهم منومون مغناطيسيًا .

لقد رأينا هؤلاء الأربعة من قبل حين كنا فى فيلا (جاك بيار) ، ولكنهم كانوا يقفون فى الظلام حينها .. نعم .. إنهم من هاجمونى أنا (وبريدجيت) .. لقد كانوا خمسة حينذاك ، ولكن .. نراهم الآن يتبادلون النظرات الصامتة كأنهم يتحدثون بها ، ثم ينفصل ثلاثة متحركين تجاه المستشفى ، بينما يبقى الرابع فى مكانه ، واقفًا فى جمود تام كأنه تمثال ..

تمثال يراقب الثلاثة الذين عبروا مدخل المستشفى بخطوات سريعة واثقة متجهين نحو هدف محدد ..

الذى قد تستغرب له أنه كان يتابع الموقف فى الداخل من مكانه هو !!..

لقد كان الآن يرى بأعين الثلاثة فى الداخل ويسمع بآذانهم ..

أنه الآن يرى المدخل الرئيسى حيث يتحرك الأطباء والممرضين فى كل اتجاه ، يحملون الأوراق والعينات وأكياس الدم ويهرعون بها من مكان لمكان ويرى السلم يقترب ، ثم يبدأ فى صعود الدرج بسرعة ..

إنه يرى من أعين رفاقه أنهم يتجاوزون الجميع نحو هدفهم .. ويرى ذلك الممرض الزنجى الذى بدأ التساؤل فى عينيه لحظة ، قبل أن يسأل فى وقاحة :

- إلى أين أنتم ذاهبون أيها السادة ؟!

يولد القرار فى رأس واحد من الثلاثة فى الأعلى ، ويتفق عليه الأربعة دون أن ينطق أحدهم بحرف واحد .. إنهم لا يحتاجون للنطق ، فعقولهم متصلة على نحو كاف ..

وهكذا يخرج واحد من الثلاثة فى الأعلى مسدسه ، ليطلق منه رصاصة اخترقت جبهة الممرض الذى سقط على الفور وملامحه تحمل ذهولاً سيبقى معه إلى الأبد ..

إنه الآن يسمع الصرخات ويرى الجميع يهربون من أمام الثلاثة الذين يواصلون طريقهم إلى غرفة محددة ..

إنه يرى الآن أنهم يدخلون الغرفة ، ليجدوا الرجل المنشود راقدًا على أحد الأسرة ، ويرى نظرة الهلع التى ظهرت على ملامح الرجل إذ رأى الثلاثة يسددون مسدساتهم إليه ..

إنه يرى الوميض .. الرصاصات .. الدماء التى تفجرت من صدر ورأس الرجل قبل أن يسقط بلا حراك ..

إنه الآن يعرف أن المهمة تمت بنجاح ، ولم يعد هناك ضرورة للاتصال العقلى .. وإذ يستعيد الرابع رؤيته وسمعه ، يبدأ فى النظر إلى الفوضى التى حدثت والعشرات يهربون بهلع من المستشفى ، ويرى رجال الأمن الذى هرعوا إلى الداخل وهم يصرخون بتوتر ..

يسمع مزيدًا من الرصاصات تطلق فى الداخل ، ثم يخرج رفاقه الثلاثة من المستشفى بهدوء ، ويتجهون إليه ، ليعود الأربعة إلى السيارة ، ولينطلقوا بها مبتعدين عن المكان ..

ومن بعيد يرتفع صفير سيارات الشرطة إذ هى قادمة إلى المستشفى بعد فوات الأوان ..

* * *

كانت ضحكات الجنرال (فيليب) الشامتة ترن فى أذنى ، حين ألقى الكونت (فرانسوا) بمفاجأته بهدوء بالغ :

ـ هل تقصد جهاز التتبع الأنيق الذى كنت تحمله فى حذائك ؟ لقد توقعت شيئًا مماثلاً ، واستخرجت الجهاز من حذائك وربطته إلى حقيبة أرسلناها فى رحلة مع القطار المتجه إلى لندن ..

وابتسم الكونت العجوز مردفًا :

ـ والآن يمكننا أن نعود لموضوعنا الأساسى ..

كنت أنا و (بريدجيت) من تنفس الصعداء ، وكان الجنرال (فيليب) من أربد وجهه وبدا عليه ذعر حقيقى ، وهو يهتف :

ـ أنت تكذب ..

ـ يمكنك أن تنتظر لتتأكد أن أحدًا لن يأتى لإنقاذك ، ولكن فى الوقت ذاته ستخبرنا بما نودّ معرفته ..

صرخ الجنرال بثورة :

ـ لن أنطق بحرف .. اقتلنى لو أردت ، لكنكم لن تحصلوا على شىء منى ..

هنا رأيت أنها فرصتى للتدخل ، فقلت مستخدمًا حيلة قديمة :

ـ من تحدث عن القتل ؟! .. هناك طرق أكثر إقناعًا ..

وأخرجت مسدسى من جرابه ، وأخذت أتفحصه ببرود مستفز أمام عينى الجنرال الذى تضاعف توتره :

ـ ما الذى ستفعله ؟!

ـ رصاصة فى الركبة .. ستؤدى بالطبع إلى بتر الساق معه وعد بتقاعد مبكر ، وسام استحقاق من الدرجة الأولى ..

ـ إنك لن تفعلها ..

ابتسمت ساخرًا :

ـ حقًا .. إنك لا تعرفنى إذن ..

وألصقت فوهة المسدس بركبته اليمنى قائلاً ببطء :

ـ أين هى قائمة المصابين بالفيروس ؟!

ـ حتى لو أردت التحدث لن ..

ـ أين هى قائمة المصابين بالفيروس ؟!

ـ إنك لا تفهـ .. آآآآآآآآآآآه .

لكن الرصاصة التى انطلقت من مسدس (فرانسوا) نسفت ركبة الجنرال اليسرى بالفعل ، وجعلت الدماء تنفجر منها بغزارة ، على نحو صرخت أنا معه بغضب :

ـ ما الذى فعلته ؟!

أجابنى الكونت ببساطة :

ـ إنك لن تطلق النار وهو لن يتحدث ..

ثم وجه حديثه للجنرال الذى أخذ يصرخ بألم لا حد له :

ـ والآن هل ستجيب على سؤالنا ، أم إنك تود فقد الساق اليمنى أيضًا ؟

ـ سأتحدث .. لا تطلق النار ..

أرجوووووووك !

نصيحة مجانية .. حين ترتفع رائحة البارود ، تأكد أنك ستحصل على الحقيقة !

وبدأت المعلومات تنسال على لسان الجنرال فى غزارة مبهجة :

ـ أنا لا أعرف أين القائمة .. لكننى أعرف الشخص الذى قام بنشر الفيروس .. وهو الذى يعرف قائمة المصابين بالفيروس ..

ـ ومن هو هذا الشخص ؟!

ـ مدير مستشفى (سانت لويس) .. الدكتور (أدريان بنويت) ..

هنا صرخت (بريدجيت) بهلع ، وفى اللحظة التى أخرستها فيها المفاجأة لسانى :

ـ مستشفى (سانت لويس) !! .. السيد (أنور) .. إنه هناك ..

لكن (فرانسوا) قال بهدوء :

ـ لا تقلقا .. لقد نقلت صديقكما المصرى من المستشفى قبل أن آتى إليكم باستعانة بعض أصدقائى .. إنه الآن فى مستشفى خاص وتحت رعايتنا ، ولقد حللنا دمه وتأكدنا أنه لم يصب بالفيروس ..

سألته بدهشة :

ـ لكن . . لماذا تساعدنا ؟!

ـ لأن هناك رابط وحيد يجمعنا الآن .. منظمة الفوضى التى دمرت حياتنا ..

للأسف كان على حق ..!

وسألت (بريدجيت) :

ـ يجب أن نحصل على القائمة بسرعة .. يوم واحد ويبدأ المصابون فى نشر العدوى ..

أجابها (فرانسوا) :

ـ لننتنه من الجنرال أولاً .. لن يحتمل كثيرًا مع كل الدماء التى يفقدها ..

التفت إلى الجنرال الذى بدا وكأنه سيفقد وعيه بالفعل ، لأقول :

ـ أخبرنا بكل ما تعرفه عن المنظمة .. أين هو (باتريك) ؟ .. ما الذى يخططون إليه ؟

هؤلاء الرجال الذين هاجمونا فى فيلا (جاك بيار) ، من هم ؟ وما هى تلك القدرات العجيبة التى يمتلكونها ؟

خرجت الإجابة من بين شفتى الجنرال ، بصوت واهن :

ـ الرجال الذين هاجموك هم رجال المنظمة ، وكلهم خضعوا لتجارب عجيبة لم أفهمها ، لكنى لا أعرف أين (باتريك) .. إننى لم ألتق به قط ..

ـ بمن كنت تلتقى إذن ؟

ـ الدكتور (أدريان بنويت) .. إنه صديقى ، وهو من عرفنى بالمنظمة ..

سألت (بريدجيت) :

ـ وما الذى تريده المنظمة من محركى الدمى ؟

ـ لا أعرف يقينا .. كل ما طلبوه منى ، هو قائمة بأسمائهم ؟!

ـ وكيف عرفوا أنك المحرك الرئيسى من الأساس ؟

ـ أنا أخبرتهم .. إن قوتهم فوق ما تتخيلون بكثير .. المخطط الذى .. يسعون .. لتنفيذه يؤكد هذاااا ..

ودون مقدمات فقد الجنرال وعيه ، فقلت بقلق :

ـ يجب أن نسعفه .. سيهلك لو واصل فقدان الدماء على هذا النحو ..

أجابه (فرنسوا) :

ـ سنسعفه .. لا زلنا نريد أن نعرف ما يعرفه ..

هممت بقول شىء ما ، لكن أحد رجال (فرانسوا) دخل الغرفة فجأة ، وهو يهتف بتوتر :

ـ سيد (فرانسوا) .. رجال المنظمة هجموا على المستشفى ..

ـ ماذا ؟!

ـ لقد قتلوا مدير المستشفى .. قتلوا الدكتور (أدريان بنويت) ..

ودون تبادل كلمة واحدة ، هببت أنا و (بريدجيت) لنغادر المكان ، فصاح (فرانسوا) يستوقفنا :

ـ إلى أين ؟!

أجبته باختصار :

ـ سنحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه ..

وبلا أمل حقيقى فى النجاح ، غادرنا المكان متجهين إلى المستشفى ..

* * *

٨ ـ كل ما لم أعرفه حينها ..

هذه الأحداث التى سأحكيها لك الآن تنضم إلى قائمة (ما لم أعرفه حتى النهاية) ، لكنى سأخبرها لك الآن لتكتمل الصورة فى ذهنك ..

أول هذه الأحداث تبدأ فى مكتب مدير المخابرات الفرنسية ، الذى نراه الآن يجلس على مكتبه ، يقلب باهتمام بالغ فى ملف ما ، ومع كل صفحة يقلبها نسمعه يردد :

ـ هذه كارثة .. كارثة حقا ..

ولأننا لا نعرف كارثة هذا الرجل ، سننتظر حتى اللحظة التى يطرق فيها أحدهم باب مكتبه ، ليغلق المدير الملف قائلاً :

ـ تفضل بالدخول ..

ويدخل رجل معتدل القامة ، لكنه يقف فى دائرة الظل فلا نرى ملامحه بوضوح ، ينظر إليه المدير نظرة صامتة ، قبل أن يقول :

ـ هل عرفت ما حدث يا (أنطون) ؟!

يجيب (أنطون) بصوت قوى ذو رنين :

ـ نعم ..

ـ وما تعليقك على ماحدث ؟

ـ يجب التدخل فورًا ..

فيضرب المدير سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف بحنق :

ـ بل متأخرًا .. سنتدخل متأخرين جدًا ..

ثم يهب من على مقعده ، ليبدأ فى التحرك فى الغرفة فى عصبية واضحة ، مواصلاً :

ـ جاسوسة فى صفوفنا .. وكيف نعرف ؟! .. من تلك المنظمة التى أرسلت لنا ذلك الفيروس ! .. يالها من مهزلة .. والأدهى من هذا كله أننا من رشحناها لهذه المهمة بالذات ..

يقول (أنطون) بصوته ذو الرنين :

ـ (بريدجيت) تمكنت من الهرب مع ذلك المصرى الذى واجه المنظمة من قبل ، واختطفا الجنرال (فيليب) ، وأغلب الظن أن هذا تمّ بمعاونة رجلنا السابق (فرانسوا) ..

ـ مهزلة .. الذى تقوله هو مهزلة ..

ثم عاد المدير إلى مقعده ، وهو يصيح :

ـ إنهـا مسئوليتـك أنـت يا (أنطـون) أن تعيـد إلـىّ (بريدجيت) وذلك المصرى .. أريدهما خلال أربع وعشرين ساعة فحسب ..

يسود الصمت لدقيقة ، ثم يجيب (أنطون) أخيرًا بصوتـه ذو الرنين :

ـ سأنفذ على الفور ..

ويهم بالرحيل ، لكن المدير يستوقفه :

ـ ما الذى وصلنا له بالنسبة لعلاج هذا الفيروس ؟

ـ العلماء يبحثون عن علاج له ، ولكن الأمر سيستغرق وقتًا .. يجب أن نحدد من هم المصـابون بـالمرض وأن نعزلهم فور ظهور الأعراض عليهم ..

ـ ومتى ستبدأ الأعراض فى الظهور عليهم ؟

بعد أربع وعشرين ساعة سيدى ..

يتمـالك المدير نفسـه بصعوبـة ، كيلا ينفجر فـى وجـه (أنطون) ، ثم يشـير لـه بـالانصراف ومـا إن ينغلق البـاب خلف (أنطون) حتى يهمس المدير محدثًا نفسه :

ـ فلترحمنا السماء إذن ..

* * *

الحدث الثانى يحدث فى أحد المستشفيات الخاصة ، حيث نرى تلك الممرضة التى تدفع أمامها تلك العربة التى تحمـل أكياس المحاليل والمحاقن الفارغة وأمبـولات الـدواء ، تمـر بها على غرف المستشفى ..

إنها ليلة أخرى بالنسبة لها ، يتحول المرضـى فيهـا إلـى أرقام ..

مريض الغرفة رقم (٥) ستغير له كيس المحلـول المعلق .. مريض الغرفة (٨) سيحصل علـى حقنـة (ستيروكينين) .. مريض الغرفة (١٠) ستقيس له الضغـط والحـرارة وستبلغ الطبيب الذى يتابع حالته ، إن كان قد مات أخيرًا !

لكنها إذ تمرّ أمام الغرفة رقم (٣) ، تصاب بالحيرة حين تسمع تلك الهمهمة الصادرة من الداخل .. من المفترض أن مريض الغرفة رقـم (٣) مصـاب بطلـق نـارى فـى صـدره ، وأنه فى غيبوبة عميقة ..

ولأن الفضول جزء من تكوين أى أنثى ، تقرر ممرضتنا أن تدخل لتسمع ما يقوله هذا الرجل بالضبط ، لكنها وإذ تقترب من فراشة تسمعه يتحدث بلغة لا تفهمها ، وبعد دقيقة من الإنصات تخمن أنها اللغة العربية ..

تمرّ زميلتها (عائشة) أمام الغرفة ، فتناديها الممرضة :

ـ (عائشة) .. أنت تفهمين العربية ، أليس كذلك ؟!

ـ بالطبع أيتها الحمقاء .. أنا جزائرية ..

ـ إذن ما الذى يقوله هذا الرجل ؟!

فتقترب (عائشة) من الفراش وتقرب أذنها من شفتى السيد (أنور) الراقد فى غيبوبته ، قبل أن تقول مترجمة ما سمعته للفرنسية :

ـ المنظمة ستضرب ضربتها قريبًا .. كل هذا عملية إلهاء ..

ثم تتساءل (عائشة) بحيرة :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

* * *

الحدث الثالث والأخير يبدأ فى غرفة الفندق الذى كنت فيها منذ دقائق معدودة ، حيث يجلس (فرانسوا) على مقعده ، ويبدو أنه يقلب شىء ما فى رأسه ، بينما يقف رجلين من رجاله قرب باب الغرفة منتظرين أوامره ..

يسأل (فرانسوا) بعد برهة :

ـ هل نقلتم الجنرال (فيليب) إلى العربة ؟!

ـ نعم يا سيدى .. وفى انتظارك لنتحرك ..

بوقار يهبّ الكونت (فرانسوا) من على مقعده ، ويتبع الرجلين إلى الدرج الذى يقود إلى المرآب ، حيث كانت تلك الشاحنة الصغيرة فى انتظارهم ..

نرى الثلاثة يتحركون تجاه الشاحنة ، ثم نرى الكونت يتوقف فجأة ، ليقول :

ـ لقد تذكرت شيئًا .. انتظرانى لحظة ..

ـ حسنًا يا سيدى ..

ويعود الكونت (فرانسوا) أدراجه إلى الغرفة ، بينما يتجه رجلاه إلى الشاحنة ليفتحا بابها الخلفى الكبير ، لتنطلق رصاصتين صامتتين من داخل الشاحنة ..

وبصمت وسرعة يسقط رجلا الكونت وكل منهما يحمل ثقبًا فى رأسه .. ثم يخرج من الشاحنة ذلك الرجل ..

طويل القامة بصورة غير طبيعية ، ونحيل بصورة غير طبيعية ، وتطل من عينيه قسوة غير طبيعية ، وتلك الابتسامة القاسية فى ركن شفتيه كانت مخيفة بحق ..

هل تعرفتم عليه ؟! .. إنه السيد (باتريك) زعيم منظمة الفوضى الجديد ..

نراه يقف ليعتدل من هندامه بهدوء بالغ ، ثم ينظر تجاه الدرج حيث صعد الكونت (فرانسوا) منذ لحظات قليلة ، ليبتسم لنفسه مغمغمًا :

ـ فى الوقت المناسب ..

وبهدوء لا حد له ، يتجه إلى الدرج ..

ويبدأ فى الصعود إلى الكونت (فرانسوا) ..

* * *

الآن وقد اكتملت الصورة أمامك ، يمكننا العودة إلىّ أنا و (بريدجيت) ..

نحن الآن فى سيارة أمام مستشفى (سانت لويس) ، وعلى بعد عدة أمتار منا تراصت سيارات رجال الشرطة

الذين أخذوا يتحركون فى كل مكان ، والانفعال واضح عليهم ..

يبدو أن هناك مذبحة حدثت فى الداخل ، وأسوأ مسرح جريمة من الممكن الحصول عليه هو المستشفى ، ولكم أن تثقوا فى رجل شرطة سابق مثلى ..

إنهم لم يتمكنوا من إخلاء المكان للعمل على جمع الأدلة ، وأقصى ما يأملون فيه هو شاهد يصف لهم هؤلاء القتلة ..

نظرت إلى (بريدجيت) التى أخذ ضوء سيارات الشرطة الأزرق ينعكس على وجهها بانتظام ، لأقول :

ـ أنا مستعد ..

ـ سأكون فى انتظارك ، لكن .. لا تحاول ارتكاب أى حماقة .

ـ سأحاول ..

وبشجاعة أحسد عليها حقًا ، غادرت السيارة ..

واتجهت إلى المستشفى .

* * *

باقى ٢٤ ساعة وتنتشر العدوى

٩ ـ وأخيـراً ..

كنت أجلس فى السيارة جوار (بريدجيت) التى تولت مهمة القيادة ، فإصابة ساقى ستمنعنى من القيادة لفترة ..

وكنت أشعر بإنهاك لاحد له ، وبرغبة عارمة فى فقدان الوعى ولو لساعة .. لكن هذا ليس وقته ..

نحن الآن أمام البنك الوطنى ، والساعة الآن التاسعة صباحًا إلا عشر دقائق .. عشر دقائق ويفتح البنك وأدخل أنا لأحصل على القائمة ..

عشر دقائق هى كل ما تملكه (بريدجيت) لتجهيز الأوراق اللازمة لى لأدخل البنك ، لهذا هى لم تنطق بحرف منذ وصلنا كعادتها ..

لابد أن الكل يسعى خلفنا الآن .. الشرطة .. المخابرات الفرنسية .. رجال منظمة الفوضى .. لكن لا بأس .. يمكننى الاستمرار .. يمكننى المحاولة .. كل ما أحتاجه هو ساعة نوم واحدة و ..

« إنها التاسعة تمامًا . أوراقك جاهزة » .

قالتها (بريدجيت) ، ثم واصلت مشفقة :

ـ أعرف أنك لم ترتح لحظة ، لكن ما هى إلا دقائق ونحصل على القائمة ..

ـ فلنأمل أن يحدث هذا بلا مشاكل هذه المرة ..

ـ فلنأمل هذا ..

وناولتنى الأوراق المطلوبة ، بينما تأكدت أنا من وجود المفتاح فى جيبى ، ثم ألقيت نظرة على بوابة البنك التى فتحت ، لتبدأ حركة الدخول والخروج ، وقلت :

ـ لو حدث أى شىء ، اهربى بلا تفكير .. اهربى من فرنسا ..

ودون أن أنتظر الرد منها ، تحاملت على نفسى لأتجه إلى البنك .

* * *

أعرف أنك تريد أن تعرف ما الذى حدث لى فى المستشفى أولاً ، وكيف حصلت على القائمة صحيح أننى نجوت وأننى الآن فى طريقى إلى البنك ، لكنك تريد أن تعرف كيف ، لهذا أنت تقرأ هذه الأوراق ..

لتعرف كيف ..

والآن سنترك البنك وسنعود بضع ساعات إلى الوراء ، حيث اللحظة الى غادرت فيها السيارة متجهًا إلى المستشفى ، ورجال الشرطة من حولنا وفى كل مكان ..

الذى حدث هو ..

* * *

« جان لوبون .. صحفى فى (Paris Selection) .. » .

قلتها وأنا أشهر البطاقة التى صنعتها لى (بريدجيت) فى وجه ضابط الشرطة الذى وقف عند مدخل المستشفى الرئيسى ، والذى قال :

ـ مازلنا فى مرحلة جمع الأدلة .. لاشىء لنخبرك به ..

ـ أعرف ..

ودققت على الحقيبة الصغيرة التى أحملها ، متابعًا :

ـ لا أريد سوى التقاط بعض الصور .. دقيقة واحدة وأخرج ..

على مضض أفسح لى الضابط الطريق ، فتنفست الصعداء وأنا أتجاوز المدخل متجهًا إلى الدرج الذى يقود للطابق العلوى ..

لقد كانت (بريدجيت) على حق .. لن يحاول أحد اعتراض سلطة الصحافة فى فرنسا ..

وهكذا أخذت أشق طريقى إلى الأعلى ، مشهرًا بطاقتى إلى جميع الضباط الذين استوقفونى بتوتر ليسألوننى عن وجهتى ، وبعد دقائق كنت أقف أمام باب غرفة الدكتور (أدريان بنويت) مدير المستشفى الراحل ..

كان هناك عدد لا بأس به من رجال المعمل الجنائى الذى التفوا حول رسم على الأرض لرجل ، فهمت ان الدكتور (أدريان) كان يحتله منذ لحظات ، وكانت الدماء على الأرض والفراش المقابل لمكتب المدير تؤكد أنه مات على الفور ، وسقط فى مكانه دون أن يجد فرصة للمقاومة أو محاولة الهرب ..

عملية سريعة وقاسية ، لكنها للأسف .. ناجحة !

كان هناك حاجز بلاستيكى عند باب الغرفة ، لمنع المتطفلين من الدخول ، لكنى تقدمت تجاه باب الغرفة لأجد ذلك الضابط يسد علىّ الطريق ، صالحًا :

ـ ممنوع يا هذا ..

أشهرت له البطاقة قائلاً بهدوء :

ـ صحفى .. أريد التقاط بعض الصور ..

ـ ممنوع يا هذا .

وانضم إلى الضابط آخر ، دفعنى إلى الخارج بغلظة قائلاً :

بعد أن ننتهى يمكنك أن تلتقط ما يحلو لك من الصور ..

لكننى أجبته مبتسمًا :

ـ بعد أن تنتهوا لن يعد هناك قيمة لما أنتوى فعله ..

ـ ما الذى تعنيه ؟!

لكن إجابتى جاءت فى هيئة أسرع هجوم قمت به فى حياتى كلها ..

لابد أن من سيشاهدوا شريط كاميرات المراقبة بعد ذلك ، سيروننى وقد تحولت إلى سلسلة من اللكمات والركلات ، والقفزات السريعة .. ورجال الشرطة والمعمل الجنائى يتساقطون واحدًا تلو الآخر ، دون أن يصدر عنهم سوى صرخات مكتومة ..

وقد لا تصدقنى ، لكن هذا الهجوم الذى قمت به جعلنى أشعر بالخوف ..

بالخوف من نفسى ..

أى قدرات هذه تلك التى أمتلكها ، والتى حصلت عليها من تجربة (مجدى) ؟!

الأغرب أن هذه القدرات تتطور فى أعماقى كل يوم دون حتى أن أسعى أنا إلى هذا ..

على كل استغرق القتال دقائق معدودة تساقط بعدها كل من كانوا فى الغرفة فاقدى الوعى ، وقفت أنا ألهث بعنف أشاهد ما اقترفته يداى .. إننى لست فخورًا بهذا الإنجاز ، لكننى لا أملك رفاهية الاختيار .. والآن يجب علىّ أن أبدأ البحث عن المفتاح ..

أى مفتاح ؟! .. حسنًا سأشرح لك ..

لقد قامت (بريدجيت) بممارسة عملها كخبيرة تتبع وجمع بيانات ، لتتوصل إلى التالى ..

الدكتور (أدريان بنويت) لديه خزانة سرية فى البنك الوطنى ، باسم مستعار هو (جوزيف) ، وهو يحمل مفتاح الخزينة معه أينما كان ، وهذا ما جئت من أجله .. للحصول على مفتاح تلك الخزانة وأى ورقة تحمل إمضاءه ..

التفسير الوحيد لأن تقوم المنظمة بقتل رجلها بهذه الصورة وفى المستشفى أمام الجميع ، أنها كانت تريد التخلص منه بسرعة ، وذلك لسبب من اثنين .. إما لأنها توقعت أننا سنجبر الجنرال (فيليب) على التحدث ، وإما أن الدكتور (أدريان) أراد التراجع عن اتفاقه مع المنظمة ، وهذا ما لم يرق لزعيم المنظمة الجديد (باتريك) ..

لكن .. ما الذى يجعل الدكتور (أدريان) يحصل على خزانة فى البنك باسم مستعار ؟!

لابد أنه لم يرد أن يعرف أحد بما فى داخلها ..

خاصة المنظمة .. وهذا يعنى أن القائمة ربما تكون هناك .. احتمال لا بأس به كما ترى ..

فلو لم تكن هناك ، فعلى الأقل يمكننا ابتلاع مرارة الهزيمة ، ونحن نردد :

ـ لقد فعلنا ما فى وسعنا .

الآن أمامى دقيقة واحدة على الأكثر لأفتش المكان .. يمكننى بالطبع أن ألصق يدى بالجدار وإن أجوب الغرفة

بعقلى ، لكنها مخاطرة فى مثل هذه الظروف ، وهذا يعنى أن ألجأ إلى الطريقة اليدوية فى البحث ..

مرّت ممرضة من أمام باب الغرفة ، لترانى أقف وسط أجساد الرجال فاقد الوعى ، فصرخت بهلع ، وأطلقت ساقيها للرياح ..

هكذا تتقلص الدقيقة إلى ثلاثون ثانية فحسب ، فأبدأ فى قلب كل شىء داخل الغرفة رأسًا على عقب وبسرعة غير عادية .

والعجيب أننى وجدت مفتاح الخزينة ، وبضعة أوراق تحمل إمضاء الدكتور (أدريان بنويت) خلال نصف دقيقة فحسب ، فى درج سرى فى المقعد الضخم خلف المكتب ، فدسستهم فى الحقيبة الصغيرة التى أحملها ، وأخرجت مسدسى هامسًا لنفسى :

ـ والآن تبدأ رحلة الخروج من هنا ..

كنت أسمع صوت أقدام تعلوا ، متجهة إلى الممر خارج غرفة المدير ، لكنى لم أكن أنوى الدخول فى مواجهات مباشرة أكثر من هذا ، أخذت أعدو إلى سلم الطوارئ ، ومنه أخذت أقفز عبر الدرج إلى الأسفل ، لكنى ما إن بلغت

الطابق السفلى ، وفتحت باب سلم الطوارئ لأخرج ، حتى رأيت ذلك الرجل ضخم الجثة ، ذو الملامح بارزة والندبة فى خده الأيمن ، وهو يقف أمام الباب مسددًا مسدسه تجاهى ، ليقول بصوت قوى ذو رنين عجيب :

ـ استسلم أيها المصرى ..

* * *

من كان منكم قوى الملاحظة ، فلابد أنه خمّن أن هذا الرجل هو (أنطون) رجل المخابرات الذى تولى مهمة القبض علىّ أنا و (بريدجيت) ..

صحيح أنه كان يقف فى الظل ، لكن ذلك الصوت الرنان من الصعب أن تخطئه أذنك حتى لو حاولت ..

لكننى وفى تلك اللحظة ، لم أكن أعرف من هو هذا الرجل ولا الجهة التى يتبعها .. لقد كان مجرد عائق بالنسبة إلىّ ..

صحيح أننى كنت أحمل سلاحى ، وأننى أثق فى أن سرعتى تفوق سرعته بمراحل ، لكنى لم أكن على استعداد لأن أطلق النار عليه ..

فى الوقع إنه يؤدى عملـه ، ولا يمكننـى أن ألومـه علـى هذا ..

ولا يمكننى أيضًا أن أستسلم له بعد أن بلغت هذا الحظ ، لذا ألقيت بمسدسى فى وجهة مباشرة ، وأنـا أقفز جانبًا لأتفادى تلك الرصاصة التى أطلقها علىّ قبل أن يسقط أرضًا وهو يمسك بأنفه الذى تفجرت منه الدماء بغزارة ..

أما أنا فقد شعرت برصاصته ، تمزق لحم ساقى اليمنـى فلم أستطع منع صرخة الألم التى خرجت من شفتى ، لكنـى تحاملت على نفسى لأبدأ فى العدو ، وقد تكفلت حالة الذعـر التى أحدثتها رصاصة (أنطون) بالتغطية علىّ ..

وحين رآنى رجلى الشرطة عند البوابـة والدمـاء تنـزف من ساقى بغزارة ، بدت الدهشة عليهما واستلا مسدساتهما ، لكننى صحت متصنعًا الذعر :

ـ القاتل .. إنه خلفى ..

ظهر (أنطون) فى تلك اللحظـة مـن بعيد ، وهـو ينـزف من أنفه ويحاول اختراق الحشود الهاربة ليطاردنى ، فأسرع رجلى الشرطة عند البوابة إليه ليوقفانه ، وأحدهما يهتف :

ـ ألق سلاحك .. سأطلق النار ..

ـ أيها الحمقى .. إننى معكم ..

لكنى لم أنتظر لأعرف مـا سيحدث ، بل استغللت حالـة الفوضى السائدة ، لأعدو مبتعدًا وأنا أهتف لرجـال الشـرطة فى الخارج :

ـ القاتل فى الداخل .. امنعوه من الهرب ..

ويبـدو أن الدمـاء التـى تـنزف مـن سـاقى ، أكسـبتنى مصداقية ما ، فاندفع الجميع إلى الداخل ، بينما أسرعت أنـا إلى حيث تنتظرنى (بريدجيت) التى تجـاهلت إصابـة سـاقى تمامًا ، لتهتف بعملية :

ـ هل حصلت على المطلوب ؟!

ـ نعم .. لنغادر حالاً ..

وماهى إلا لحظات حتـى كنـا نبتعد عن هـذا الصخـب .. وبينما أنا أحاول إيقاف الدماء التى تنزف من ساقى ، أخذت (بريدجيت) تقول :

ـ لقد كدت أهرب حين رأيت (أنطون) يدخل المستشـفى من بعدك ..

سألتها وأنا أغلب ألمى :

ـ من هو (أنطون) هذا ؟!

ـ إنه فى المخابرات الفرنسية .. مـن أخطـر رجالهـا فـى الواقـع ، وهـذا يعنـى أنهـم لـن يهـدأ لـه بـال حتـى يقبضـوا

علينا .. مجرد هربك منه اليوم ، سيدفعه إلى مطاردتنا إلى يوم الحساب ..

ـ فلينضم إلى قائمة المطاردين إذن ..

ـ سنذهب إلى حيث سأسعفك ، ثم سنبدأ العمل حتى الصباح الباكر .. حينها نذهب إلى البنك الوطنى ، ولنأمل أن نجد القائمة ..

ولم تنطق بحرف طيلة الطريق ، فسمحت لنفسى بالاسترخاء قليلاً ، وأنا أتساءل فى أعماقى إن كنا سنجد تلك القائمة فى خزينة البنك حقًا ..

والأهم من هذا ..

ماالذى سنفعله لو لم نجدها ؟!

* * *

الآن وقد عرفت ما حدث يمكننى أن أعود بك إلىّ وأنا أدخل البنك ..

حيث تنتظرنى مفاجأة أخيرة ..

أسوأ المفاجآت حتى الآن .

* * *

١٠ ـ خاتمة للجزء الأول ..

« وقع هنا من فضلك .. » .

قالها الموظف المسئول فى البنك ، وهو يشير لى أين سأوقع ، فأخذت القلم منه ، وذيلت الورقة بالتوقيع الذى قضيت الليلة كلها أتدرب على تقليده ..

هذا هى أخطر مرحلة كما قالت (بريدجيت) .. المرحلة التى سيبدأ فيها الموظف فى النظر بشك إلى التوقيع ، قبل أن يقارنه بالأصل على الكمبيوتر عنده ..

لحسن الحظ أن الدكتور (أدريان) يمضى باسمه ، وإلا كان سيصبح موقفى سخيفًا وأنا أقف فى البنك مدعيًا أننى (جوزيف) الوهمى الذى اشترى الدكتور (أدريان) خزانة باسمه ، والذى قامت (بريدجيت) بصنع أوراق كاملة فى ساعات ، لأمضى باسم رجل آخر ..

بعد دقيقة من الشك مط الموظف شفتيه ، ليقول :

ـ هل معك مفتاح الخزينة ؟!

ـ بالطبع ..

ـ اتبعنى رجاءً ..

ومحاولاً عدم الهتاف بسعادة ، تبعت موظف البنك إلى المصعد الداخلى للبنك ، حيث وصلنا إلى ممر طويل فيه مجموعة غرف ، أدخلنى إحداها لأجد مكتبًا صغيرًا أمامه مقعد واحد ، قبل أن يقول :

ـ انتظرنى لحظة ..

وغاب قليلاً ، ثم عاد وهو يحمل خزينة معدنية صغيرة وضعها على الطاولة ، ثم غادر الغرفة ، وهو يقول بأدب :

ـ خذ وقتك ..

وهكذا انتظرت أنا قليلاً حتى تأكدت أنه ابتعد ما يكفى ، ثم فتحت الخزانة المعدنية ..

* * *

وفى الخارج كانت (بريدجيت) تنتظرنى ..

كانت عيناها معلقتان على مدخل البنك فى انتظار خروجى ، حين تحركت غريزتها الأنثوية فجأة لتطلب منها النظر فى اتجاه اليمين .

وكما أخبرتك من قبل أن (بريدجيت) نموذج للمرأة التى تثق فى نفسها وإلى أقصى حد ممكن ، لذى حولت اهتمامها كله فى اتجاه اليمين ، حيث رأت تلك السيارة وهى تقف فى ساحة الانتظار على مسافة لا بأس بها من سيارتها ، ليخرج منها أربع رجال ..

شعرت بالقلق على الرغم من أنها لم تتعرف ملامحهم ، لكنها ميّزت ذلك الانتفاخ أسفل معاطفهم وأدركت أنها مسدسات ..

إنها الآن تتذكر ..

هناك خمسة رجال هاجمونا حين كنّا فى فيلا الدكتور (جاك بيار) ، وهى قتلت واحدًا منهم ..

الآن يوجد أربعة ذوى ملامح جامدة يحملون أسلحة يتجهون إلى البنك ..

إنها الآن تتذكر .. إنها الآن تفهم ..

وبهلع حقيقى تهمس لنفسها :

ـ إنهم رجال المنظمة .. سيقتلونه فى الداخل .. سيقتلونه ..

* * *

أما أنا فى الداخل كنت أحدق فى الخزينة التى لم تحتو سوى على ساعة يد عتيقة ..

فقط .. !!

وبذهول هتفت :

ـ أين القائمة ؟!

لكن الخزينة الفارغة تقريبًا لم تمنحنى أى إجابة .. فقط أمامى تلك الساعة العتيقة ، تخبرنى أن أمامنا أقل من أربع وعشرين ساعة قبل أن ينتشر الفيروس ..

ثم تذكرت شيئًا ، فأمسكت بالساعة بين يدى وبدأت أركز ..

لقد أخبرتنى الدكتورة (لارا) ـ طبيبتى النفسية ـ باسم هذه القدرة .. إنها .. إنها ..

تذكرت .. السينسيشيا .

المفترض أننى سأشعر بشىء يتعلق بتاريخ هذه الساعة لو كنت محظوظًا ..

كل ما علىّ فعله هو أن أتماسك قليلاً ..

وأركز ..

لننس الفيروس .. الجنرال .. المنظمة .. (بريدجيت) .. (أنطون) .. (فرانسوا) ..

لننس هذا كله ولنركز قليلاً مع تلك الساعة العتيقة ..

الدكتورة (لارا) أخبرتنى أن هذه القدرة لا تظهر إلا حين تقرر أن تظهر ، لكنها أملى الوحيد الآن ..

أركز .. أركز .. أركز ..

وكل ما أراه هو الساعة أمامى محطمة و..

محطمة ؟؟!

إنه الحل إذن .. !!

وهكذا أضع الساعة على الطاولة ، ثم أحمل الخزينة المعدنية لأهوى بها على الساعة بأقصى قوة ، لتتهشم الساعة ولتسقط منها شريحة صغيرة الحجم ، تعرفتها على الفور ..

إنها شريحة ذاكرة تضاف إلى الهواتف المحمولة الحديثة ، وما علىّ إلا أن أضعها فى هاتفى لأحصل على المعلومات المطلوبة ..

وهذا ما فعلته ..

وأخيرًا ظهرت قائمة أسماء المصابين بالفيروس أمامى وسط سلسلة أخرى من البيانات المتعلقة بالمنظمة .. فقرأتها لأتلقى أسوأ مفاجأة تلقيتها حتى الآن ..

فالاسم الثالث فى قائمة المصابين كان مألوفًا للغاية ..

كان اسم (بريدجيت رولاند) .. !!

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!



د. تامر إبراهيم

منظمة اسمها الفوضى

مرحبا بكم أيها السادة ..

اليــوم سنتعلم بعض دروس الفوضى ، وسنتعرف على الزعيم الجديد للمنظمة ، وعلى محركى الدمى وعلى الفيروس الذى سينتشر وعلى الجنرال والكونت وعلى (بريدجيت) .. ولأنه لا يوجد متسع من الوقت لهذا كله ؛ لذا أنصحك أن تبدأ حالاً ..!

فاسم المنظمة التى أواجهها أيها السادة هو ..

الفوضى ..

الثمن فى مصر ٢٥٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



